بلاغة الخطاب
في وصيَّة أبي طالب عليه السلام
دراسة في ضوء معايير نحو النَّصّ

أ. م. د. عماد جبار كاظم

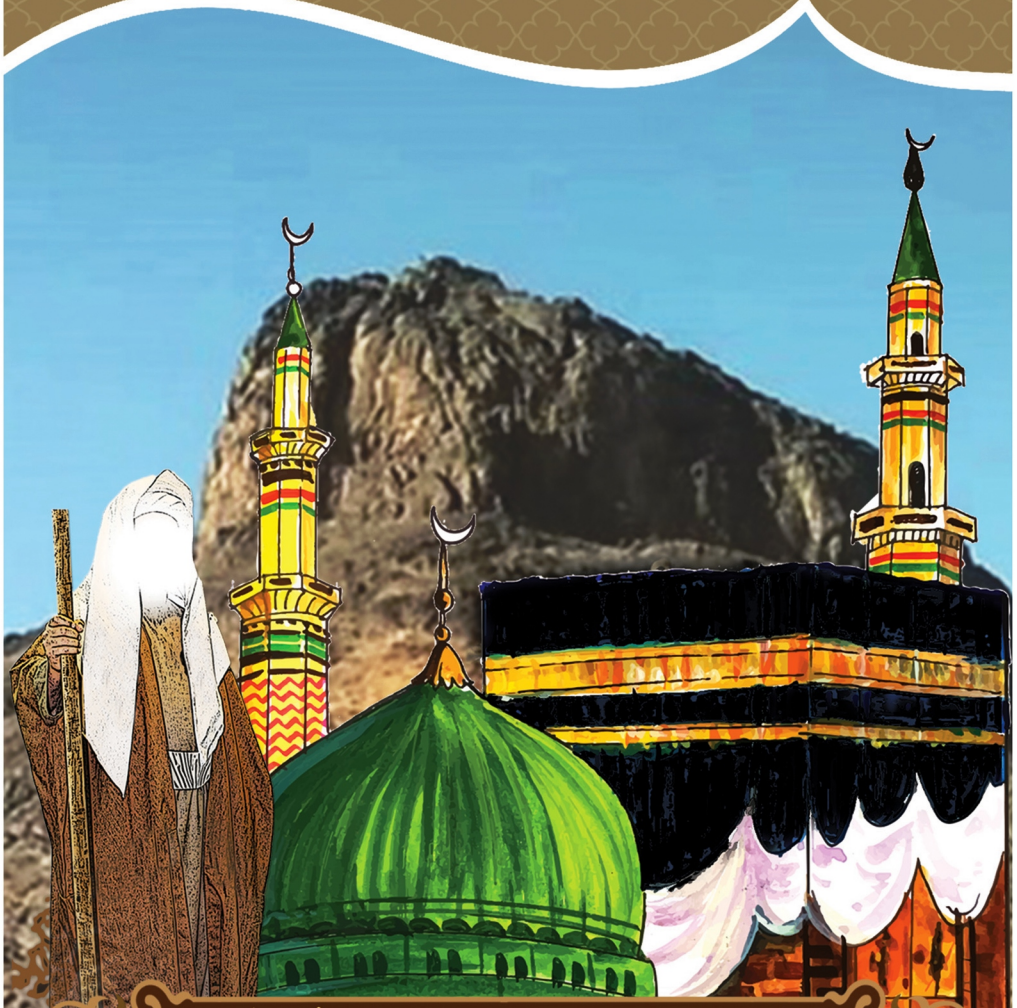

مؤتمر أبي طالب عليه السلام العالمي

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العتبة الحسينية المقدسة
الأمانة العامة
مركز الإمام الحسين للدراسات والبحوث التراثية لأهل البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

المحور الرابع: اللغوي والأدبي

بلاغة الخطاب في وصيَّة أبي طالب عليه السلام
دراسة في ضوء معايير نحو النَّصّ

أ.م.د. عماد جبار كاظم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّد الأنام سيِّدنا محمد وآله الطَّاهرين الكرام.

وبعدُ...

تنسج قيم المعرفة النَّصِّيَّة من ذاتها إشارات دالّة على مفهوم لمعنًى، يتجلَّى بها وصفاً لفكر، يبتني على نيَّة وقصد وفعل، ثُم يرسل ـ هذا الفكر ـ نفسه فيها إلى فضاء التلقِّي/ الإرسال، على افتراض سابقٍ لحضور تكوينه، وهو الجمع الكُلِّيّ الذي يتفتق من سلاسل الاتفاق والمعاهدة والتَّجارب والثَّقافة والتداول والممارسة، وكلٌّ فيه من أنساق ما يشكّل شأوه بامتياز.

لقد تعيَّن منطق الوصف النَّصِّيّ على نفسه موضوعاً، وعلى آليّاته، مداخلَ لإدراك ذاته أولاً، وما يحمله من مضمون ثانياً، وإلى التَّفاعل والإدراك التَّكامليّ ثالثاً، ليكون قناة واصلة بين طرفي حياة، يتمثَّل أحدهما في فسيولوجيَّة الأعضاء؛ أداءَ وظائف، تبرز في أفعال اللِّسان باللَّفظ أصلاً، وبالحرف منزلةً ومعادلة في نسق من كتابة، والآخر في سيكولوجيَّة القدرة على فكّ الرمز ـ"الكود، Code"ـ والتَّرجمة

والبيان، في رحاب من نظام أنظمة "الدائرة الكلاميَّة" ـ وما في عمليَّة التَّخاطب.

إنَّ نافذة البيان النَّصِّيّ تأخذ من أجناس "النَّصّ" مدار انعقاده، في توصيف آداب متكثّرة، ولا شكَّ في أنَّ الوصايا أدبٌ عالٍ تنتشر على مسارحها معانٍ، قائمة على أهدافٍ، تتوقّع نتائج، ومن هذه الوصايا وصيَّة أبي طالب رضي الله عنه تلك الوصيَّة التي مُثلت شاخصاً لموقف، يقف منه شيخ البطحاء على عتبة انتقال، تاركاً خلفه سادة يغرز في نفوسهم قِيماً من خلق على ما هم فيه، ويذكّرهم بمآثرهم وفضائلهم، ويؤكّد فيهم من جانب آخر على الدفاع عن النَّبي الأعظم صلى الله عليه وآله مناصرةً، وإجابةً، وملازمة.

ولقد كان لي أن أتأمّل في تضاعيف هذه الوصيَّة الكريمة، راصداً فيها جملة من المعايير التي وسمت نصّها بالنَّصِّيَّة، ودلالتها بالاستمراريَّة والإبلاغيَّة التَّواصليَّة، وأن أفصِّل دراستها على فقرتين: الأولى في مفاهيم النَّصّ والنَّصِّيَّة ومعاييرها التي تنعقد عليها فلسفة "نحو النَّصّ"، والفقرة الثانية، في الإجراء تحليلاً وتطبيقاً على نصّ الوصيَّة نفسه، معتمداً فيه على تلك المعايير والآليّات التي كوّنت له سمته. أمَّا الخاتمة فهي محلّ النَّتائج وما أثمره البحث من أفكار.

وبعد.. فأرجو أن أكون قد وُفِّقتُ بقدر الوسع، مع تقديم عذري إن وجد خطأ، فحسبي أنّي أكتب لمعرفة، والله "تعالى" هو المسدّد للصّواب.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

الباحث

نصّ وصيَّة أبي طالب عليه السلام

"عن الكلبي قَالَ: لَمّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَمَعَ إِلَيْهِ وُجُوهَ قُرَيْشٍ، فَأَوْصَاهُمْ، فَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَلْبُ الْعَرَبِ، فِيكُمْ السّيّدُ الْمُطَاعُ، وَفِيكُمْ الْمُقَدّمُ الشّجَاعُ، وَالْوَاسِعُ الْبَاعِ.

وَاعْلَمُوا أَنّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إلّا أَدْرَكْتُمُوهُ، فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ، وَالنّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ إلْبٌ.

وَإِنّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - يعني الكعبة - فَإِنّ فِيهَا مَرْضَاةً لِلرّبّ، وَقِوَاماً لِلْمَعَاشِ، وَثَبَاتاً لِلْوَطْأَةِ. صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَا، فَإِنَّ فِي صِلَةِ الرّحِمِ مَنْسَأَةً فِي الْأَجَلِ، وزيادة فِي الْعَدَدِ. وَاتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالْعُقُوقَ، فَفِيهِمَا هَلَكَةُ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ. أَجِيبُوا الدّاعِيَ، وَأَعْطُوا السّائِلَ؛ فَإِنّ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ. وعَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ؛ فَإِنّ فِيهِمَا مَحَبّةً فِي الْخَاص، وَمَكْرُمَةً فِي الْعَام.

وَإِنّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله خَيْراً، فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي

الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَقَدْ جَاءَ بِأَمْرٍ قَبِلَهُ الْجَنَانُ وَأَنْكَرَهُ اللّسَانُ؛ مَخَافَةَ الشّنَآنِ.

وَأَيْمُ اللهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ، وَأَهْلِ الْبِرّ فِي الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ النّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَصَدّقُوا كَلِمَتَهُ، وَعَظّمُوا أَمْرَهُ، فَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، فَصَارَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَاباً، وَدُورُهَا خَرَاباً، وَضُعَفَاؤُهَا أَرْبَاباً، وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ. قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وِدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا.

دُونَكُمْ ـ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ ابْنَ أَبِيكُمْ كُونُوا لَهُ وُلَاةً، وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً. وَاَللهِ، لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهُ إِلّا رَشَدَ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَدْيِهِ إِلّا سَعِدَ. وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدّةٌ، وَلِأَجَلِي تَأْخِيرٌ؛ لَكَفَفْت عَنْهُ الْهَزَاهِزَ، وَلَدَافَعْت عَنْهُ الدّوَاهِيَ"[1].

(١) اكتفاءً أقول: فصّل الشيخ الأميني رحمه الله [في: موسوعة الغدير ٧ : ٤٩١- ٤٩٣] القولَ في أماكن وجود هذه الوصيَّة، ومصادرها الكثيرة، وله عليها تعليقات عقليَّة جليلة تحت عنوان" "١٣ـ وصيَّة أبي طالب رضي الله عنه عند موته". وينظر: وموسوعة أهل البيت، الجزء الخاصّ بالرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله؛ باقر شريف القريشي ١ : ٢١٤- ٢١٥.

الفقرة الأولى

إنسكلوبيديا النَّصّ ـ النَّصّ دائرة معارف

نحو النَّصّ ـ المفهوم والإجراء:

تألّق مفهوم النَّصّ وهجاً معرفيّاً جذب إليه أنظار الدَّرس اللِّسانيّ الحديث، حين تجاوز مرحلة تأسيس مفهوم الجملة(*)، بوصفها الابتدائيّ: بنية كبرى حاملة للمعنى التام، أو "وحدة الخطاب" الذي يجري عليه التَّشريح والتَّقعيد(١)،

(*) ظني أنَّ لكلِّ نظريَّة أصولاً ومرجعيّات تتكلَّم عن نفسها وصفاً ومنهجهاً وتحليلاً. ودفعاً لسؤالٍ، رُبَّما يخطر للقارئ الكريم، في أنَّ الدَّرس القديم له مثل هذا وزيادة، فلماذا لم تستند إليه؟!. أقول: ليس غرضي في هذه الأوراق اليسيرة، الموازنة بين الدّرس النَّحويّ العربيّ القديم، والدّرس اللِّساني الحديث، وما في الأخير من إدراكات يكون قولُها متضمناً في القديم ومرجعيّاته، والدفاع عنه؛ بوصفه أصول نظريَّة، أو تأسيس المؤسّس، بل هدفي تعيين بعض من رؤًى ومبادئ؛ لتكون سياقاً أنفذ منه إلى منهجيَّة وصف في نحو المعالجة والتَّطبيق، ليس إلا، على مسرح الوصية الكريمة ـ موضوع الدّرس، وإلا فلكلّ شأنٍ ووصف وقول.

(١) ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان؛ أوزوالد ديكرو: ٥٣٤، و٦٤٦، والنَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٨٨، وأسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١١٦، والنَّصّ والسِّياق؛ فان دايك: ١٩، ومن النَّصّ إلى الفعل؛ بول ريكور: ٨٠، والتَّحليل اللُّغويّ للنص؛ كلاوس برينكر: ٢٩، و٣١، و٤٠، وإسهامات أساسيَّة في ←

إلى تصوُّرات نظام ونسق آخر يقوم على الوصف الكُلِّيّ في المتوالي الحمليّ، أو التَّتابع الجمليّ، يستند، في المبدأ، على نحو علاقات من التَّرابط والتَّماسُك والاتساق[1]، ليشكّل لنفسه، من بعدُ، مباني وأصولاً، أُجْتُرِح بمجمعها "نظريَّة النَّصّ"، في موضوعٍ هو النَّصُّ نفسه جهازُ النَّظر، وإجراءاتٍ هي أدواتُه وآليّاتُه الكاشفة عنه، في: مسالك التَّحليل، والوظائف، والفهم والانتاج، والأهداف، والنّتائج، تحت مسمّيات لمسمًّى واحد في: "نحو النَّصّ"، و"لسانيّات النَّصّ/

العلاقة بين النَّصّ والنَّحو والدَّلالة؛ سعيد حسن بحيري: ١٥٨، واللُّغة والمعنى والسياق؛ جون لاينز: ١١٢، وتحليل الخطاب الروائي؛ سعيد يقطين: ١٨، ونسيج النَّصّ؛ الأزهر الزَّنّاد: ١٣، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش ١: ٣٧، ولسانيّات الخطاب؛ نعمان أبو قرة؛ ١٧، ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ١٧- ٢٠، والخطاب وخصائص اللُّغة العربيَّة؛ أحمد المتوكّل: ٢١، وانفتاح النَّصّ الروائيّ؛ سعيد يقطين: ٥، وما بعدها. والعربيَّة من نحو "الجملة" إلى نحو "النَّصّ"؛ سعد مصلوح: ٤٠٦.

(١) ينظر: علم النَّصّ؛ فان دايك: ١٤- ١٥، ولسانيّات النَّصّ؛ كيرستن آدمتسيك: ١٥- ٢٢، ٤٦، واللُّغة والمعنى والسِّياق؛ جون لاينز: ٢١٦، ولسانيّات النَّصّ؛ محمد خطابي: ١٣، وعلم لغة النَّصّ؛ سعيد حسن بحيري: ٩٣، و١٦٣، والمصطلحات الأساسيَّة؛ نعمان بوقرة: ٣٣- ٤٩، ونسيج النَّصّ؛ الأزهر الزَّنّاد: ١٤- ٢١، ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ٢٠، وما بعدها، وعلم اللُّغة النَّصّيّ؛ صبحي إبراهيم الفقي ١: ٢٩، ونحو النص؛ عمر أبو خرمة: ٢٣، وعلم اللُّغة النَّصّيّ؛ مصطفى صلاح قطب: ٥٨، ونظريَّة النَّصّ؛ حسين خمري: ٤٣، والدلالة والنَّحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٢٣، و٢٢٥، ومن تحليل الخطاب؛ جمعان بن عبد الكريم: ١٣.

الخطـاب"، و"علـم لغـة الـنَّصّ"، و"علـم مـا وراء الجملـة"، و"علـم مجـاوزة الجملة".

ولكي نقف على عتبة المفهوم والإجراء لسمة "نحو النَّصّ"، لنأخذ المضاف إليه منه؛ معرفةً لـذلك الاقـتران، في منطـق سـؤال: مـا الـنَّصّ " Text"؟. ومـا مفهوم نحو النَّصّ؟. وهل ثمَّة أسس يقوم عليها النَّصّ؛ للوصول بـه إلى سـيمياء ومعالم في مقولة النَّصِّيَّة؟. وهل تنعكس هذه التَّصوُّرات الاستفهاميَّة على مفهوم "الخطاب" وبلاغته؟.

يأخـذ مفهـوم الـنَّصّ والخطـاب في أدبيّـات نحـو اللِّسان النَّـصِّيّ موافقـات ومفارقات[1]، ولكلٍّ نهجه، ودليله، ولأنَّ مفهوم "الخطاب" في حالة مـن تـضادٍ، بين حياة وموت، لحظة بثّه وإرسـاله، لـذا سنقتـصر عـلى مفهـوم "الـنَّصّ"؛ لأنَّـه خطـاب كُـلِّيّ بفعـلٍ يجسّده البقـاء كتابـةً[2]، ويتـسنن في الـتُّراث ذاتـاً، ويأخـذ بـه

(١) ينظـر: معجـم تحليـل الخطـاب؛ باتريـك شـارودو: ٤٣، و١٨٠، و١١٧، و٥٥٤، والمصطلحات المفاتيح في اللسانيات؛ ماري نـوال: ٤٩، ومـن الـنَّص إلى الفعـل؛ بـول ريكور: ٧٩، ونظرية التأويل؛ بول ريكـور: ٣٩، و٤٢، و١١٧، والـنَّصّ والـسياق؛ فـان دايك: ١٩، والنَّصّ والخطاب والاتصال؛ محمد العبد: ٩- ١٢، والخطاب والنَّصّ؛ عبد الواسع الحميري: ١٢٢، والخطاب وخصائص اللغة العربيَّة؛ أحمد المتوكّـل: ٢٢- ٢٤، وانفتاح الـنَّصّ الروائي؛ سـعيد يقطـين: ١٠، ومـدخل إلى علـم الـنص؛ محمـد الأخـضر الصبيحي: ٧٣.

(٢) ينظر: من النَّصّ إلى الفعـل؛ بـول ريكـور: ٧٨، و١٠٥، ونظريـة التأويـل؛ بـول ريكـور: ←

التَّأويل مسالك من القراءة والتَّفسير والتَّدبُّر.

لقد شاعت في ثقافة علماء لغة النَّصّ جملة من المفاهيم التي قُدِّمت للنَّصّ على أَنَّهُ تيمةٌ كُلِّيَّة متماسكةُ الأجزاء، ولعلَّ قراءة كثرة هذه المفاهيم تُسفر عن كونه موضوعاً لا يتحدّد بسمة دون أخرى، حتَّى بدا شاملاً لكلّ منها، بل لعلَّ قراءة تجاوزه حدّاً إلى توصيفه حدساً[١]، والدّخول منه إلى مجالات في التَّحليل، لعلَّها دعوةٌ إلى عدم إلغاء تعريفه، والخروج منه إلى نسبيَّة القول في تلك المفاهيم المقدِّمة[٢].

وعلى الرّغم من ذلك، فقد قُدِّمت في وصف النَّصّ جملة من المفاهيم[٣]، سواء بسواء، حدّاً وإجراءً، في كونه "كمّاً": قُصراً وطُولاً، أو كيفاً، أو قياساً بنمطٍ جملة ديناميّاً أو قضويّاً متجاوزاً لها[٤].

ولأنَّ هذه المفاهيم كثيرة ممثّلة بمرجعيّاتها التَّكوينيَّة[*]؛ لذا يمكن أن نقدِّم

٥٦- ٥٧، والقراءة؛ فانسون جوف: ٤٢.

(١) ينظر: مدخل أولي إلى علم لغة النص؛ فان دايك، بحث بضمن كتاب النَّظريَّة والنَّصّ، كتاب جماعي قدّم له: كيبيدي فارغا: ٦٢.

(٢) ينظر: أسس علم لغة النَّص؛ مرجوت هاينه مان: ١٦٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٠- ١٧٣، ولسانيات النَّصّ؛ كيرستن آدمتسيك: ٨٩، ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ٢٠، وما بعدها، وانفتاح النَّصّ الروائي؛ سعيد يقطين: ١٢.

(٤) ينظر: إسهامات أساسيَّة في العلاقة بين النَّصّ والنَّحو والدلالة؛ سعيد حسن بحيري: ١٥٨.

(*) لعلَّ "هاينه مان" يكشف عمّا نحن فيه من توصيف، يقول: "قُدِّمت عن السّؤال المهم لعلم ←

توصيف مفهوم جهاز "النَّصّ" على نحو أمرين، يتصوُّر الأوّل منهما في مفهومه الاندماجيّ الجامع، وذلك في قراءة "كلاوس برينكر" حين وجَّه أن يُنظر إلى النَّصّ على أساس اتجاهين، كلّ منهما سبق وأن حدَّد موضوعاً وطوَّر أهدافاً، وهما: "علم لغة النَّصّ القائم على أساس النِّظام اللُّغويّ"، و"علم لغة النَّصّ الموجَّه على أساس نظريَّة التَّواصل"؛ لبناء نظريَّة، واقترح أن يكون ثمَّة "مفهوم مدمج للنَّصّ" يقوم على أساس الموقفين الأساسيين معاً، لأنَّهما ليسا "بديلين، بل متكاملين، ويتّصل بعضهما ببعض اتصالاً وثيقاً"[1].

ولقد تحقَّق له مطلبه بهذا المفهوم الإدراكيّ الذي يستقيم على مفهوم الاندماج التَّكامليّ بالاشتراك بين العلمين، ووصل إلى استنباط "وصف النَّصّ على أنَّه وحدة لغويَّة وتواصليَّة في الوقت نفسه"[2]، موافقاً لمفهومه الاصطلاحيّ، بوصفه "تتابعاً محدوداً من علامات لغويَّة متماسكة في ذاتها،

اللغة عن جوهر النَّصِّيَّة في ألف تعريف للنصّ تقريباً إجابات مختلفة بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً إلى حدّ ما. وكان من اللافت للنظر أنَّ العدد الأكبر من الأعمال لم يستوعب ويعرض بشكل مناسب إلا جانباً جزئياً من النّصوص من منظور نظريّ أو منهجيّ متباين، وأنَّه على العكس من ذلك لم يُتحدَّث عن الظاهرة المعقدة "النَّصّ" بوصفه كلًّا يعمل في التّفاعل إلا أحياناً". أسس علم لغة النص: ١٢٠، وينظر: المصدر نفسه: ١٧٠، و١٨٧ - ١٩٠.

(١) التَّحليل اللُّغويّ للنص: ٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤.

وتشير بوصفها كُلاًّ إلى وظيفة تواصليَّة مدركة"[١].

أمَّا التَّصوُّر الثاني، ففي توصيف كونه ـ أعني: النَّصّ ـ قائماً على جملة من مداخل يمكن أن تُعدّ معايير، واصلة بين مفهومه وإجرائه على حدّ سواء، وهي قراءة "مرجوت هانيه مان"، وذلك عندما قدَّم "طرائق أساسيَّة في وصف ظواهر نصِّيَّة"[٢]؛ للدخول فيما بعد إلى مفهوم "النَّصِّيَّة ومشكلة تحديد ـ النَّصّ"[٣]؛ ولإعطاء إجابات عن تساؤلات: "كيف ينبغي أن يوصف مفهوم "النَّصّ" الذي أعيد اكتشافه من جديد وبشكل حقيقيّ في الاتجاه البراجماتي؟، وهو ما يعيِّن جوهر هذه الظّاهرة، نصِّيّتَه، وكيف يمكن تبعاً لذلك أن يُحَد المفهوم من جموع لغويَّة أُخرى تُسمَّى اللانصوص؟"[٤].

وهذه الطّرائق بحسبه، أربعة مداخل يمكن وصف النَّصّ بقراءتها، وهي: "المدخل النَّحويّ"[٥]، و"المدخل الدَّلاليّ"[٦]، والمدخل البراجماتي ـ الاتّصالي"[٧]،

---

(١) التَّحليل اللُّغويّ للنص: ٣٤.

(٢) أسس علم لغة النَّصّ: ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٢٠- ١٢٦.

(٦) المصدر نفسه: ١٢٧- ١٤٥.

(٧) المصدر نفسه: ١٤٦- ١٥٧.

و"المدخل الإدراكيّ"[١].

ولقد يستند في وصفه إلى نحو وظائفه وأهدافه، وهي نظرة ترتكز على ما في النَّصّ من غاية تواصليَّة في نقل المعرفة والمعلومات، وهذه الأغراض والوظائف كثيرة أيضاً، رُبَّما اتُّخِذَ من خصائصها مفاهيم؛ لتصنيف النُّصوص أيضاً، وبيان أنواعها وأجناسها، منها: التَّواصلية والإبلاغيَّة والإعلاميَّة وغيرها[٢].

يتمفصل بيان النَّصّ إذن، بمبادئ مفهومه الخاصّة؛ بوصفه جهازَ نقلٍ معرفيّ، يعمل في ضوء مؤسّساته التي تمثِّل له أبواب دراسة ونظر، مرسلاً ذاته في وظائف تواصليَّة إبلاغيَّة، حتَّى يتّصف بكونه دائرة معارف.

وقبل أن نطرق أبواب تلك المعايير والأسس التي تؤطر للنَّصّ "نصِّيَّةً"، وقراءة ما في الهدف منها من اقتراح قواعد عامّة للغة الإنسانيَّة، والنَّظر فيها، بوصفها بنى كُلِّيَّة[٣] تعمل على وصفه المخصوص؟ لنأتي على جانب مفهوم ذلك التَّشكيل الاقترانيّ، في: ما نحو النَّصّ؟.

يصف "زتسيسلاف" "نحو النَّصّ" بأنَّه "ذلك الفرع من قواعد النَّصّ التي

---

(١) أسس علم لغة النَّصّ: ١٥٨ – ١٦٧.

(٢) ينظر: التَّحليل اللُّغويّ للنّصّ؛ كلاوس برينكر: ١٣٧، و٢٥٤، ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ٢٠، ونظريَّة النَّصّ؛ حسين خمري: ٦٧ – ٧٦، وتحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"؛ محمد مفتاح: ١٢٠.

(٣) ينظر: علم لغة النَّصّ؛ سعيد حسن بحيري: ١٤٠، و١٦٣، و١٨٣، ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ٥٥.

لم تُقَم بعد، وهو الذي يصف وسائل التَّعبير المسؤولة عن عمليَّة تشكيل النَّصّ. وخلافاً لدلالة النَّصّ وبراجماتية النَّصّ يقتصر مجال نحو النَّصّ على الوسائل اللُّغويَّة المتحقّقة نصّيّاً والعلاقات بينها"[١].

ولعلَّ محاولة الأستاذ "سعد مصلوح"، للمقاربة بين "نحو الجملة" القديم والدّرس اللِّسانيّ الحديث أوفى مبلغاً وأشمل في مفهوم الحدّ، حين قال: "إنَّ "نحو النَّصّ" Text grammar، الذي نريده وندعو إليه هو نمط معرفيّ جديد في التَّحليل اللُّغويّ ذي وسائل بحثيّة مركّبة، تمتد قدرتها التَّشخيصيَّة إلى مستويات ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكوِّنات التَّركيبيَّة داخل الجملة Intrasentential constituents، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي، تبدأ من علاقات ما بين الجمل Intrasentential relations، ثُمَّ الفقرة paragraph، ثمّ النَّصّ text، أو (الخطاب discourse) بتمامه"[٢].

نحو النَّصّ إذن منهج، و وسيلة بحثيَّة مخصوص بإجراءات معيَّنة، حين تبدأ بالتَّحليل والوصف، لا تقتصر على نهج الجملة فحسب، بل تتعدّى إلى سلسلة من التَّتابعات، وهو مدار التَّحليل النَّصِّيّ؛ ذلك لأنَّ التَّرابط المرصود في النَّصّ، لا يظهر على مستوى الجملة فحسب، بل بالتوالي منها أيضاً، وهو الملاك[٣]؛

---

(١) مدخل إلى علم النَّص: ٦٠.

(٢) العربيَّة من نحو "الجملة" إلى نحو "النص": ٤٠٧.

(٣) ينظر: النظرية والنص؛ كيبيدي فارغا: ٦٨، وأسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان:

ولذلك اقترح لسانيّو النَّصّ، أنَّ النَّصّ كي يرتقي بنفسه نصّاً ذا مقولة نصِّيَّة ـ اتساقيَّة، ينبغي أن يتّصف بجملة من المبادئ والمعايير، تحدّد له، في الوقت نفسه، سماته المفاهيميَّة وخصائصه الإجرائيَّة في التَّحليل والتَّطبيق، وهذه المعايير، بحسب دي بوجراند دريسلر، عبارة عن سبعة معايير، يتصف بها النَّصّ الأنموذجي، وهي[1]:

١ـ **السَّبك** (Cohesion): ويترتَّب هذا على إجراءات تبدو بها العناصر السَّطحيَّة على صورة وقائع يؤدِّي السَّابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقَّق لها التَّرابط الرَّصفيّ. وبحسب وسائل التَّضام، تشتمل على هيأة نحويَّة للمركَّبات والتَّراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التَّكرار والألفاظ الكنائيَّة والإحالة والحذف والرَّوابط.

٢ـ **الحبك** أو **الالتحام** (Coherence): وهو يتطلَّب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد التَّرابط المفهوميّ، وذلك بوسائل، منها: ١ـ العناصر المنطقيَّة كالسببيَّة والعموم والخصوص، ٢ـ معلومات عن تنظيم

١٦٥- ١٦٦، وعلم لغة النَّصّ؛ سعيد حسن بحيري: ١٢٧، ولسانيات النص؛ محمد خطابي: ٥، وعلم اللغة النَّصّيّ؛ صبحي إبراهيم الفقي ١: ٥٥، و٩٣، ونسيج النَّصّ؛ الأزهر الزَّنّاد: ١٥- ٢١.

(١) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣- ١٠٥، وأسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١٦٥- ١٦٦، وعلم لغة النَّصّ؛ سعيد حسن بحيري: ١٢٧، وعلم اللغة النَّصّيّ؛ صبحي إبراهيم الفقي ١: ٣٣- ٣٤.

الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، ٣ـ السعي إلى التَّماسُك فيما يتّصل بالتجربة الإنسانيَّة، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النَّصّ مع المعرفة السّابقة بالعالم.

٣ـ **القصد** (Intentionality): وهو يتضمَّن موقف منشئ النَّصّ من كونه صورة ما من صور اللُّغة، قصد بها أن تكون نصّاً يتمتع بالسَّبك والالتحام، وأنَّ مثل هذا النَّصّ وسيلة من وسائل متابعة خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها.

٤ـ **المقبوليَّة** (Acceptability): وهو يتضمَّن موقف مستقبل النَّصّ إزاء كون صورة ما من صور اللُّغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيثُ هي نصٌّ ذو سبك والتحام.

٥ـ **رعاية الموقف** (Situationality): وهي تتضمَّن العوامل التي تجعل النَّصّ مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النَّصّ في صورة عمل يمكن له أن يراقب وأن يغيّره... إنَّ مدى رعاية الموقف يشير دائماً إلى دور طرفي الاتصال في الأقلّ.

٦ـ **التَّناص** (Intertextuality): وهو يتضمَّن العلاقات بين نصّ ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة.

٧ـ **الإعلاميَّة** (Informativity): وهي العامل المؤثر بالنِّسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النَّصِّيَّة، أو الوقائع في عالم النَّصّ في مقابل البدائل الممكنة.

فالإعلاميَّة تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعليّ لبديل من خارج الاحتمال، وقد تكون صغرى بغير ذلك.

وبالرّغم من أهميَّة هذه المبادئ، التي يمكن أنْ أُسمِّيها بالمؤسّساتيَّة النَّصِّيَّة، فإنَّ المعيارين الأوّلين، هما من أهمّ معايير نصِّيَّة النَّصّ، أو الاتّساق في قراءات الدَّرس اللِّساني الحديث[1]؛ بل إنَّ تكوين امتياز مفهوم التَّماسُك النَّصِّيّ ـ جامعيَّة الشَّكليّ، والدَّلاليّ منه، إنَّما يتأسَّس عليهما؛ وذلك لأنَّهما يركِّزان على التَّرابط اللَّفظيّ والمعنويّ بين أجزاء النَّصّ الواحد، ذلك الكُلّ المركَّب ـ النَّصّ.

ولو سألنا "دي بوجراند" عن إمكان اختزال هذه المعايير؟، فسنجده يقرّر أنَّ هذه المعايير السّبعة يمكن أن تكون في جامعة واحدة، ذات ثلاث شعب، فثمَّة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنَّصّ، وهما: (السَّبك والالتحام)، واثنان نفسيّان بصورة واضحة، وهما: (رعاية الموقف والتَّناصّ). أمَّا المعيار الأخير (الإعلاميَّة)، فهو بحسب التَّقدير. على أنَّ القرار النِّهائيّ إنَّما يتوقَّف على ما ذكره ـ وفي دعوة منه إلى تكامليَّة العلوم ـ من أنَّه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يفهم دون التَّفكير في عوامل أربعة أُخر أيضاً، وهي: اللُّغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء[2].

---

(١) ينظر: نحو النص؛ أحمد عفيفي: ٥٧، واللُّغة بين الثابت والمتغيّر؛ أحمد عفيفي: ٢١. مع المقاربة بما: في البلاغة العربيَّة؛ سعد مصلوح: ٢٢٦، وعلم لغة النَّصّ؛ سعيد حسن بحيري: ١٣١.

(٢) ينظر: النَّص والخطاب والإجراء: ١٠٦.

يمكن القول إذن: إنَّ معاييرَ النَّصّ حين تنعقد محاور مؤسّسة له في التَّكوين، أو امتياز المفهوم في مقولة النَّصِّيَّة؛ فإنَّها تكون واصفةً للنَّصّ نفسه، ومرجعاً له في رؤى التَّحليل والتَّطبيق والفهم والانتاج والتَّفسير، إذ لا يكون ثمَّة نصٌّ في سياق تواصليّ من غير قصدٍ، كما أنَّه لا يكون ثمَّة نصٌّ بلا تماسُك، وعلاقات وترابط دلاليّ، وهكذا تتفاعل هذه المبادئ؛ لإنشاء سلوك التَّحليل النَّصِّيّ، والوقوف على علل الاستمرار الدَّلاليّ والتَّواصل الإبلاغيّ.

الفقرة الثانية

الكشف والتَّنقيب

ـ نحو فاعليَّة القواعد النَّصِّيَّة ـ العتبة والدُّخول:

يمكن أن نقارب بين رؤيتين في سُبُل التَّحليل النَّصِّيّ، وإجراءاته على مسرح الوصيَّة الكريمة، وكلّ منهما ينشعب على شعبتين رئيستين، لا تستغني إحداهما عن الأخرى.

الرُّؤية الأولى، فيما يذكره علماء لغة النَّصّ، من أنَّ الخطاب على نوعين: "الأوَّل إيصاليّ. والثَّاني إبداعيّ. أمَّا الأوَّل فمدار الدَّرس فيه يقوم على سؤالينِ: ماذا يقول الخطاب؟. ومن ذا الذي يقوله؟. وأمَّا الثاني، فيقوم مدار الدَّرس فيه حول سؤال واحد: كيف يقول الخطاب ما يقول؟"[1].

وأمَّا الرُّؤية الثانية، فبما شرع إليه لسانيو النَّصّ من أنَّ النَّصّ يقوم على محورينِ أساسيين أيضاً[2]: الأوَّل: محور الموضوع النَّصِّيّ، أي: المعنى/ الفكرة/ المضمون الذي يحتويه النَّصّ، والمحور الثاني: هو محور اللُّغة وما تمثّله أنظمتها

---

(١) الأسلوبيَّة وتحليل الخطاب؛ منذر عياشي: ١٠٦، وينظر: مدخل إلى علم النَّصّ؛ زتسيسلاف واورزنياك: ٨٩.

(٢) ينظر: التَّحليل اللُّغويّ للنَّصّ؛ كلاوس برينكر: ٣٩- ٤٠.

العلاميَّة والتَّكوينية في النَّصّ؛ بوصف الأخير كياناً لغويّاً قائماً على ثنائيَّة الدّال والمدلول، ولا يتجلَّى إلا بها ـ "اللُّغة"[١].

أقول: يمكن أن نعدَّ "ماذا يقول الخطاب؟ الإيصاليّ" ـ إذا دمجنا "من ذا الذي يقوله؟" فيه؛ لأنَّه لا ينفكّ عن الأوَّل ضرورةً ـ بمقولة المحور الموضوعيّ النَّصِّيّ. وأمَّا الجانب الإبداعيّ من الخطاب، فيمكن أن يجري على ما في المستوى اللُّغويّ الدَّلاليّ، أي: في التَّماسُك النَّصِّيّ، بمقولتي الاتساق والانسجام، وهو بلا شكّ إنَّما يتعيَّن بالكيفيَّات وتقنيات الخصائص، وبما يملكه الباثّ/ المتكلِّم من قدرة على التَّصرُّف والتَّحكُّم في أصول الخطاب والأداء، تبعاً للموقف والسِّياق.

أولاً ـ ما يقولُهُ النَّصّ ـ الوصيَّة؟:

وجَّه علماء لغة النَّصّ مضمون النَّصّ ومعناه، ببرامج متعدِّدة منها المحور الخطابيّ[٢]، أو الموضوع والحديث[٣]، أو "الأبنية العليا"، و"الضوابط الكبرى"[٤]، بموجب قواعد إجرائيَّة في: الحذف والاختيار والتَّعميم والتَّركيب

---

(١) ينظر: نسيج النَّصّ؛ الأزهر الزناد: ١٢، ونظريَّة النَّصّ؛ حسين خمري: ٢٦٧.

(٢) ينظر: النَّصّ والسِّياق؛ فان دايك: ١٦٤، و١٨٥، واللِّسانيّات الوظيفيَّة؛ أحمد المتوكّل: ١٣١، و١٥١، والوظائف التَّداوليَّة في اللُّغة العربيَّة؛ أحمد المتوكّل: ٦٩- ٧٠.

(٣) ينظر: التَّحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٧٥.

(٤) ينظر: علم النَّصّ؛ فان دايك: ٧٣، و٢٠٨، وأسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١٤٠- ١٤٢.

البنائيّ[١]، وهي نوع من القيم الدَّلاليَّة الاستنباطيَّة عالية التَّجريد[٢]، ممثّلة بما في النَّصّ من معنى إجماليّ شموليّ، أو تلخيص لمحاوره دلالةً، وهذه القيم الدَّلاليَّة ليست بالضَّرورة نهائيَّة، بمعنى أنَّها تختلف من قارئ إلى قارئ، وهو الأمر الذي يجعل من النَّصّ وثيقة تنفتح فيها القراءات، وتتعدّد فيها الرُّؤى، بحسب لحظة التلقِّي، ناهيك بالمرجعيّات والخلفيَّات الثَّقافيَّة.

المباني الكبرى في الوصيَّة الكريمة:

المعاني الدَّلاليَّة التي تحتويها وصية أبي طالب ﵁:

في ضوء ما سلف ذكره، يمكن قراءة نصّ الوصيَّة وتقسيم موضوعاتها، أو مستنداتها التي أَسّست بنيتها الدَّلاليَّة الكبرى على نحو ما يأتي:

- البنية الكبرى الأكبر في محور الوصيَّة الكريمة، هي التَّوجُّه نحو المُقدَّس، وأعلى مصاديقها النَّبي محمّد ﷺ، تلك القضيَّة العامّة التي شغلت بال أبي طالب ﵁، وكشفت عن خواطره وفكره، مبدأً ومعاداً.
- استنهاض همم الحاضرين، وتذكيرهم بمكانتهم بين العرب، فضلاً وخلقاً وشجاعةً.
- العناية بالكعبة المشرّفة، بيت الله "سبحانه تعالى".

---

(١) ينظر: علم النَّصّ؛ فان دايك: ٨١، و٢٩١، والتَّحليل اللُّغويّ للنّصّ؛ كلاوس برينكر: ٧٩، وعلم لغة النَّصّ؛ سعيد حسن بحيري: ١٤٦.

(٢) ينظر: النَّظرية والنَّصّ؛ كيبيدي فارغا: ٧٩.

- التّمسُّك بالأخلاق الفاضلة الحميدة ومكارمها، وهذا يتجلَّى فيما يأتي:

١ـ صلة الرحم والقرابة. ٢ـ ترك البغي والعقوق. ٣ـ إجابة الداعي وإعطاء السائل. ٤ـ صدق الحديث. ٥ـ أداء الأمانة.

- مكانة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وإنسانيته؛ لأنَّ هذه صفاته.
- العناية بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ويظهر ذلك في الأبنية الكبرى الآتية:

أ ـ بنحو مباشر، في: ١ـ تولي أمره. ٢ـ حمايته في العَلَن والسِّرّ، أو الحضور والغياب.

ب ـ بنحو استلزاميّ، مرةً، وغير مباشر في أخرى، في:

١ـ إجابة دعوته. ٢ـ تصديق كلمته. ٣ـ تعظيم أمره. ٤ـ تولي أمره ومناصرته.

- الإيمان به، والثِّقة بهديه وسبيله، وذلك يدرك بما يأتي:

لا يسلك أحد سبيله، أو يأخذ بهديه إلا رشد، وسعد.

- التَّأكيد على الدِّفاع عنه. ابتداءً وانتهاءً. صراحةً وكنايةً.

مبان أخرى أكثر تجريداً، على نحو ما يأتي:

- استشراف المستقبل.
- إظهار أمر الإسلام على يديه صلى الله عليه وآله.
- عزَّة المتابعة له صلى الله عليه وآله، ومذلَّة المخالفين.
- التَّسلح بالوعي ومعرفة مجريات الأمور.
- الرَّغبة البالغة في الدِّفاع عن الرَّسول صلى الله عليه وآله.
- تعاضد الرُّؤى في التَّوجُّه نحو المُقدَّس: بيت الله "سبحانه"، والنّبي الكريم صلى الله عليه وآله، والأخلاق، والإنسان.

ثانياً ـ كيف يقول النَّصّ ـ الوصيَّة:

ـ كيفيَّات النَّصّ وخصائصه الإبداعيَّة:

عندما يلتجئ النَّصّ إلى اللُّغة ـ على افتراض ثنائيَّة الدَّلالة ـ فهذا يعني أنَّه يريد أن يتجلَّى بذاته إلى نحو الامتياز والتَّكوين، وإلّا يبقى فكرةً تموج في عالم الخيال ومكامن السرّ والخفاء بلا إعلاميَّة أو ظهور، لا يُعرَف عنها شيء؛ ولذلك كان من شأنه أن يقترض من اللُّغة وسائلها في شريعة النَّظم، وآليّاتها في قانون الرصف والتّأليف(*)، وهي بالضَّرورة لا تبخل عليه من دستورها بشيء، بل تمدّه من كلّ دالّ ذي قيمة إشاريَّة علائقيَّة، وترشده إلى خلافاتها الإيجابيَّة والسلبيَّة، وتشير عليه بكلّ بند أو سلوك يرشّحه الاقتضاء إلى الإيضاح والبيان والفهم والتَّفسير، وهو بدوره له من حرّيَّة الاختيار ما يجعل لتلك المبادئ اللُّغويَّة حياةً فيه جدلاً، ما يشاء منها إرادةً، وينتقي من كيفيَّاتها وخصائصها المعيَّنة طرائق وأساليب من التَّعبير، تيسِّر له عمليَّة القول تواصلاً، وتعينه على ما يريد أن يُفصح عنه بلاغةً، وبحسب ما أُقِيَمَ عليه من غرض؛ لهدف وغاية.

(*) تتوافق هذه الرؤى مع ما في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني "ت٤٧١هـ"، تماماً، حين عقد للنحو أصولاً وبيّن قوانينه في التَّعليق، قال: "ليس "النَّظم" إلا أن تضع كلامَك الوضع الذي يقتضيه "علم النَّحو"، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرف مَناهجه التي نُهِجَت فلا تزيع عنها، وتحفَظ الرسومَ التي رُسِمت لك، فلا تُخِلُّ بشي منها". دلائل الإعجاز: ٨١. وينظر: المصدر نفسه: ٤، و٤٠٥، و٤١٠، و٤١٢، و٤١٤.

ولأنَّ النَّصّ المرسل يمثِّل سمة ثقافيَّة وبرامج عليا؛ بسبب ما يكتنزه من مفاهيم ومضامين، لذا تمثِّل هذه المرسلةَ عمليَّةٌ قبليَّة في التَّرتيب والتَّنسيق والتَّكوين على مستوى التَّخطيط والانتاج[١]، وهي قواعد، ـ في ظنِّي وإن بدت متأخّرة في التَّنظير ـ تسبق مقولة النَّصِّيَّة والاتّساق النَّصِّيّ، لا يمكن أن يتخلَّى عنها النَّصّ في كيفيَّة إنشائه وتجسيد عوالمه، بل هي منه محطّ ذات في تنظيم المعلومات وعلاقاتها المنطقيَّة، وكيف لا يكون كذلك وقد وُصِفَ "النَّصّ" بأنَّه نسق "معماري"، في التَّرتيب والتَّرصيف والبناء[٢].

ولقد مرَّ بنا أنَّ مبادئ اتّساق، أو نصِّيَّة النَّصّ[٣]، ترتكز على وسائل رئيسة، منها وسيلتان، هما: السَّبك في المستوى الشَّكليّ أو الرَّصفيّ السَّطحي، والحُبك على المستوى المعنويّ المفهوميّ، وبجامع مفهوم التَّماسُك النَّصِّيّ أو بتوصيف الاتّساق والانسجام، ولا شكَّ في أنَّ هذا المفهوم إنَّما هو عبارة عن ترجمة ووصف لكلّ الكيفيَّات والأنساق ـ نحواً ومعجماً ومعاني واقتضاءً ودلالةً ـ التي يتّخذ النَّصّ منها لنفسه ظهوراً إلى نحو استمراريته الدَّلاليَّة والتَّواصليَّة الإبلاغيَّة.

---

(١) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ١١٣، و٤١٢- ٤٢٤، وأسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ٣١٢- ٣٢١، والدلالة والنحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٧٣، وعلم لغة النص؛ عزة شلبي: ٤٦.

(٢) ينظر: عتبات؛ عبد الحق بلعيد: مقدِّمة الدكتور سعيد يقطين: ١٥.

(٣) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ١٠٣- ١٠٥، وأسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١٦٥- ١٦٦، وعلم لغة النَّصّ؛ سعيد حسن بحيري: ١٢٧.

ولقد رصد علماء نحو النَّصِّ من هذه الكيفيَّات التي يظهر بها النَّصّ نصّاً متماسكاً متلاحم الأجزاء يرتبط بها سابقه بلاحقه وآخره بأوَّله، ليس على مستوى الجملة فحسب، بل في بنية كُلِّيَّة دلاليَّة، رصدوا وسائل وبنًى داخليَّة وخارجيَّة، كثيرة[1] على محاور التَّكوين: شكلاً ومعنًى، منها التَّضام المعجميّ، والإحالة بأنواعها، ووسائل التَّرابط والعلاقات المفهوميَّة والمنطقيَّة بين القضايا والأحداث، فضلاً عن منظور السِّياق وأصول التَّخاطب والمقام؛ ولأنَّها كثيرة، بل أنَّ بعضاً منها منفرد لما في النُّصوص من أصالة استعمالها وإبداع توظيفها، لذا سنقتصر على ما نجده من هذه الوسائل في مسرح الوصيَّة وأروقتها؛ بوصفها وسائل وأدوات تنسج من نفسها دوالاً ووظائف؛ لإظهار النَّصّ الإبداعيّ على كيفيَّة معيَّنة لما يريد أن يقوله، إنْ على مستوى الأجزاء، أو الجمل الصغرى والكبرى والفرعيَّة أو التَّتابع منها في ذلك الكلّ المركّب: النَّصّ الكُلِّيّ.

ولكن قبل أن ندخل في أروقة نصّ الوصيَّة الشَّريفة؛ للتحليل، أُلفتُ نظر القارئ الكريم إلى قول: إنَّه قد يتكرّر المثال من النَّصّ المتعيَّن، وهو واحد في

---

(١) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دبي بوجراند: ١٠٣، و٢٩٩، و٣٠١، و٣٤٦، والنَّصّ والسياق؛ فان دايك: ٧١، ١٣٧، ومدخل إلى علم النَّصّ؛ زتسيسلاف واورزنياك: ٩٥، و١٢٣، و١٤١، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش ١ : ١٢٥، ولسانيات النَّصّ؛ محمد خطابي: ١٥، وما بعدها، ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ٩٨، و١٠٥، ونسيج النَّصّ؛ الأزهر الزَّنَّاد: ٢٥، و٤٢، والدلالة والنحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٣٤، وعلم اللغة النَّصِّيّ؛ صبحي إبراهيم الفقي ١ : ٦٣، و٧٥، و١١٥.

الرُّؤى والتَّطبيق؛ لأنَّ النَّصّ يتجاوز كونه على قاعدة، أو ضابط نظميّ واحد، من دون النَّظر إلى الضَّوابط والوسائل الأخرى التي تشكِّل سياق حضوره، كيف وهو بنية لغويَّة دلاليَّة تواصليَّة ليست من كلمة فحسب، بل تتجاوز أسوارها إلى جمل متسلسلة ـ المتوالي الحمليّ منها، ثُمّ النَّصّ الأكبر، في سياق على ساق من مقام، تحت أجنحة القصديَّة والتَّفاعليَّة الإبلاغيَّة التَّواصليَّة.

نواة النَّصّ، المحتوى التّحاوري ـ أنساق "التَّكوثر" الحمليّ:

تؤلِّف الجملة الأولى في النَّص النواة الأولى في الرصف والتَّحليل النَّصِّيّ، لذا لا يمكن أن تكون مجاوزتها مثمرة، بل سيضيع كثير من كيفيات التَّماسُك النَّصِّيّ، بسبب ما تمتلكه من موضوع الخطاب، وهو "المتحدّث عنه"، أو "الموضوع". يقول فان دايك: "في مستوى الجملة استعمل لفظ الموضوع، وقُصد به المسند إليه Topic، وخاصة في الاتجاه اللِّساني الحديث، وقد يقرن هذا اللَّفظ أحياناً بمفاهيم كالمسند Comment، والتَّنصيص على المعنى بالتّلفظ Focus..."[1]، وكلّ منهما من الأسس البنائيَّة في النَّصّ تصوّره مقولات نحويَّة توصف بالإجباريَّة[2]، في ثنائيَّة تركيب يمثِّل طرفه الأوَّل المعلومة المعرفة، والثاني المعلومات الجديدة غير القابلة للاستنباط من سياق النَّصّ، أو الموقف[3]، وقد

(١) النَّصّ والسِّياق؛ فان دايك: ١٦٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم النص؛ زتسيسلاف واورزنياك: ٩٥.

(٣) ينظر: التحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٧٥.

يطول الحديث/ "المسند" حتَّى يصل إلى مستويات من التوالي الحمليّ، وكلّها تعبِّر عن مستوى من الإسناد النَّصِّيّ والتَّكوين.

وقد لمح النَّصِّيُّون أنَّ المسند إليه قد يكون ويتشخّص موضوعاً في ثلاث مقولات نحويَّة، عبروا عنها بالشَّخص الأوّل = المتكلِّم، والشَّخص الثاني = المخاطب، والشَّخص الثالث = الغائب. وقسَّموا النُّصوص على أساسها على أربعة أنماط ١ـ نصوص حواريَّة بين متكلِّم ومخاطب، ٢ـ ونصوص خاصّة بالمرسل متّجهة إلى الداخل، ذاتيَّة فرديَّة. ٣ـ نصوص خاصّة بالمستقبل حوارية فرديّة متجهة إلى الخارج، ٤ـ نصوص عامَّة، وهي التي يغلب فيها الشّخص الثالث، وتُسمَّى علنيَّة[1].

والواقع أن نصّ الوصيَّة إنَّما يقول هذه الأصناف ـ كما في نحو الإحالة، كما يأتي ـ دون الحوارية، بل هي ذاتيَّة ومستقبليَّة وعلنيَّة، ثُمّ على أنحاء متداخلة في أخرى، كما يأتي:

ـ **الذاتيَّة**: وذلك في قوله(*) ﷺ: " وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ...". وقوله ﷺ: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدِ ﷺ خَيْراً،...". وقوله ﷺ: "وَأَيْمُ الله، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ،...". وقوله ﷺ: "وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدَّةٌ، وَلِأَجَلِي

(١) ينظر: مدخل إلى علم النص؛ زتسيسلاف واورزنياك: ٩٦.

(*) تقدم بنا نصّ وصيَّة أبي طالب ﷺ؛ لذا سوف أعتمدُ على قراءة القارئ الكريم وذاكرته في الإحالة والرجوع إلى النُّصوص التي أشير إليها في التَّمثيل التَّطبيقيّ من نصّ الوصيَّة الذي ذكرته سابقاً، موضوع الدَّرس.

تَأْخِيرٌ؛ لَكَفَفْت عَنْهُ الْهَزَاهِزَ، وَلَدَافَعْت عَنْهُ الدّوَاهِيَ".

فهذه النُّصوص إنَّما تشير إلى مخصوص إسنادها إلى الذات المتكلِّمة أبي طالب رضي الله عنه، وهي الموضوع، على أنَّ التّوالي الحمليّ على قلّته فيها، يمثِّل مركزيَّة النَّصّ، وبحياة لا تقف عند منعطف الإرساليَّة في لحظتها الزمنيَّة تلك فحسب، بل تنفتح لتتعدَّى ذلك إلى مسافات قرّرت حروفها معانيها أن تكون نصّاً في الوقت الحاضر قراءة، وفي المستقبل تلقّياً وبلاغاً.

ـ **المستقبل**، وهي متوسطة الحضور، إذا نظرنا إلى دلالة إحصاء، وذلك في قوله رضي الله عنه: "أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَلْبُ الْعَرَبِ، فِيكُمْ السّيّدُ الْمُطَاعُ، وَفِيكُمْ الْمُقَدّمُ الشّجَاعُ، وَالْوَاسِعُ الْبَاعِ. وَاعْلَمُوا أَنّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إلّا أَدْرَكْتُمُوهُ، فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ،...". وقوله رضي الله عنه: "كُونُوا لَهُ وُلَاةً، وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً".

فالموضوع النَّصِّيّ ـ أعني: المسند إليه ـ هنا يعيِّن مساره، ليس الحضور فحسب، وإن كان قرينة كبرى مقاميَّة، كما سيأتي في الإحالة الخارجيَّة، وإنَّما سياق الوجوب الإسناديّ من تسلسل حمليّ وتراكم إيرادي لهذه الإخباريات ـ الحديث ـ التي جعلت من النَّصّ متوالياً معلوماتيّاً يلتفت إليه السامع/ المتلقِّي.

ـ **الغائبة العلنيَّة والمتداخل منها**، وهي الأكثر في التَّوصيف المرجعيّ، وذلك في قوله رضي الله عنه: "فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي الْعَرَبِ،..". وقوله رضي الله عنه: "قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَصَدّقُوا كَلِمَتَهُ، وَعَظّمُوا أَمْرَهُ، فَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ،

فَصَارَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَاباً، وَدُورُهَا خَرَاباً، وَضُعَفَاؤُهَا أَرْبَاباً، وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ. قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وِدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا".

فالنَّصّ الأوّل، فيه غير واحد من مسند حمليّ إلى موضوع يحمل عطره نصِّيَّة الوصيَّة، وهو النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله "الأمين، الصّديق". وهي وإن كانت صفات معروفة للحاضرين، إلا أنَّ ما يوثِّق من إعلاميتها النَّصِّيَّة توكيد أمرها، وتقوية دلالتها في نفوس السامعين، بل لعلَّها تدخل في مستوى الحوار التَّمهيديّ لما سيأتي من خطاب إسناديّ لاحق لذلك المقدَّم، وهو قوله عليه السلام "هُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ". وكذا القول في حال النَّصّ الثاني، ففيه من اعلانيَّة الإعلام النَّصِّيّ والتَّداخل، ما يترجمه الحضور المتوقَّع في المستقبل، والموضوع واحد، في حضور لغائب قد أحال على محورين ـ أحدهما، وهو الأساس، يشكّل قطب الرحى في النَّصّ. الأوَّل من المحورين: الفاعل، وهم العرب وغيرهم ممّا أسند إليهم من صفات دلاليَّة، والثاني، وهو قطب الرّحى في الحديث، النّبي الكريم صلى الله عليه وآله، وهو، وإن اتّصف بالمفعوليَّة، إلا أنَّه فاعل المعنى النَّصِّيّ مركزاً، بدليل الفعل: "فَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ"، كلّ ذلك في حضور مستقبل والشهود يسمعون، ولولا هذه الحمليّات والتَّوالي الجمليّ في النَّصّ، لما كانت فيه معلومة مرسلة بكيفيَّة الإسناد الحمليّ التَّراكميّ.

ـ الاقتران ـ الاتّساق المعجميّ:

بدهيٌّ القول إنَّ النَّصّ يبتني على لغته التَّواصليَّة، وهذه إنَّما تتحدّد بسلسلة

من الاتفاق الجمعيّ لشأن الدّال وإشاريته الدَّلاليَّة التي تحيل على معنى خارجيّ عنه، وهي الكلمة "دوال الماهية"[١]، فعندما نقول: "محمد" مثلاً، فهذا يعني أنَّ له وجوداً ومادة خارجيَّة تحيل عليها تلك الكلمة، وتدلّ عليها دلالة مطابقة، على نحو الحقيقة وضعاً واستعمالاً.

ومن المعلوم أنَّ كلّ كلمة ـ كي تكون فاعلة في سياقها الدَّلاليّ ـ تجرّ وراءها حشداً هائلاً من العلاقات الدَّلاليَّة من نحو المجاز والتَّرادف والاشتراك والتَّضاد والتَّكرار والاشتمال والتَّضمين والجزء والكلّ، والعموم والخصوص، وغيرها من العلاقات السِّياقيَّة التي تشكِّل لها شبكة[٢] خاصَّة، تحت مُسمَّى الاتّساق[٣]، أو التَّضام وضوابط التَّوارد المعجميّ[٤]، أي: "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[٥]، يفضي، بالضّرورة، إلى تماسُك النَّصّ واستمراريته الدَّلاليَّة.

---

(١) اللُّغة؛ فندريس: ١٠٥.

(٢) ينظر: اللُّغة والمعنى والسِّياق؛ جون لاينز: ٨٣.

(٣) ينظر: لسانيات النَّصّ؛ محمد خطابي: ١٣ – ٢٥.

(٤) ينظر: مقالات في اللُّغة والأدب؛ تمام حسان ١ : ١٣٥ – ١٤٢، و ١٤٥، والأصول؛ تمام حسان: ٣٣٦، والنَّحو والدَّلالة؛ محمّد حماسة عبد اللطيف: ٥٤، و٦٢، و ١١٢، وعلم اللغة النَّصِّي؛ صبحي إبراهيم الفقي ١: ٤٢، والدلالة والنَّحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٣٦.

(٥) لسانيات النَّصّ؛ محمد خطابي: ٢٥. وينظر: مقالات في اللُّغة والأدب؛ تمام حسان: ١٣٧.

وفي نصّ الوصيَّة الكريمة من التَّضام المعجميّ ما نجده، وقد أخذ أنحاءً في التَّوصيف، منها:

١ـ علاقة الجزء والكلّ، ومن ذلك قوله رضي الله عنه: "أَنْتُمْ صَفْوَةُ الله مِنْ خَلْقِهِ، وَقَلْبُ الْعَرَبِ، فِيكُمْ السّيِّدُ الْمُطَاعُ، وَفِيكُمْ الْمُقَدّمُ الشّجَاعُ، وَالْوَاسِعُ الْبَاعِ". وقوله رضي الله عنه: "وَإِنّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله خَيْراً، فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ". وقوله رضي الله عنه: "وَأَيْمُ الله، كَأَنّي أَنْظُرُ إلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ، وَأَهْلِ الْبِرّ فِي الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ النّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ،...".

ففي النَّصّ الأوَّل، وإن قُرِئ على نحو الملازمة النَّحويَّة بدلالة الحرف مع إحالة المضمر الحضوري "فيكم"، إلا أنَّه يُشعر بدلالة الجزء من الكلّ، وهم "العرب"، إذ لا شكَّ في أنَّ هذا: "السَّيِّد والمقدَّم" من قريش الحضور، وقريش جزء من "العرب"، وهم صفوة الله سبحانه من خلقه. وكذلك القول في النَّصّ الثانيّ، أمَّا الثالث فصراحة اللَّفظ فيه أكثر في عمومة كلمة "الناس"، ما يدخل فيهم من العرب وأهل البر،... وهكذا.

٢ـ العام والخاص، ومن ذلك قوله رضي الله عنه صراحة: "وعَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ؛ فَإِنّ فِيهِمَا مَحَبّةً فِي الْخَاصّ، وَمَكْرُمَةً فِي الْعَامّ".

فـ"العام، والخاص" ثمَّة فيهما من نحو التَّضام المعجميّ ما نسجه النَّص على كيفيَّة إرساله تماسكاً واتساقاً، فتوثيق الأوَّل بالخصوص يستدعي الثاني بعلاقة

التَّداعي، ناهيك بالتّسلسل من الجزء إلى الكلّ.

٣ـ التّكرار وإعادة الوحدة المعجميَّة، ومن ذلك قوله عليه السلام: "فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ، وَالنّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ إلْبٌ". قوله عليه السلام: "صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَا، فَإِنَّ فِي صِلَةِ الرّحِمِ مَنْسَأَةً فِي الْأَجَلِ،...".

وفي النَّصّ الأوَّل قد تكرّرت كلمة "النَّاس"، دالّ عموميّ وشموليّ مرتين من غير استبدال، من الإظهار إلى الإضمار؛ تأكيداً على تضامّ ونسق باتّساق، ودلالة على استمرار، وبلاغة في تواصل، وفي النَّصّ الثاني كذلك، إذ أعاد المادَّة المعجميَّة في صيغة أخرى وبمقولة نحويَّة في نسبة الإضافة، بدلاً عن الجملة الأولى، أعادها دلالةً، ولم يعدل عنها إلى الإضمار، فيقول: "فإنَّ فيها منساة في الأجل،.." كما في نظير مقابلها؛ وذلك لأمور منها تأكيد أمرها وإظهار أهمِّيّتها، ودفع الالتباس؛ لأنَّه لو عدل إلى الإضمار؛ لالتبس المعنى بمعطوف الجملة، وهو القطع، بدلاً عن الصِّلة في الأولى.

٤ـ الاشتمال والتَّضمين، ومن ذلك قوله عليه السلام: "أَنّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إلّا أَدْرَكْتُمُوهُ،...".

فلا يخفى أنَّ كلاً من "النَّصيب والشَّرف"، هنا، ممَّا يشتمل عليه دالّ "المآثر"، ولا ريبَ في أنَّ استعمال العامّ يتلوه ما يندرج بضمنه، داع إلى نحو الاتّساق النَّصِّيّ على المستوى المعنويّ.

٥ـ المقابلة وأشباه والتَّضاد، ومن ذلك قوله عليه السلام: "أَجِيبُوا الدّاعِيَ، وَأَعْطُوا السّائِلَ؛ فَإِنّ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ". وقوله عليه السلام: "فَصَارَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَاباً، وَدُورُهَا خَرَاباً، وَضُعَفَاؤُهَا أَرْبَاباً، وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ. قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وِدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا".

لعلَّ القول بالتَّضادّ في سياق المقابلة بين الألفاظ يشكِّل إشكاليَّة!، إذ كيف يكون ما يضادّ الشَّيء مراداً ترابطيّاً على نحو الاتّساق المعجميّ؟، ولكن هذا التَّساؤل يندفع في الاستعمال بكيفيَّة مخصوصة في التّداعي والعلاقات التي تكون بين الألفاظ، وبانسجام خاصّ، على طريقة "والضِّدُّ يظهر حسنه الضِّدُّ"، وأشباه هذا ما نجده في معطى التَّمثيل النَّصّيّ، فـ"الحياة مع الممات"، نسق جمعيّ تضاديّ حادّ يشدّ المتلقِّي إلى الالتفات، ويقرن القلب مع العقل، وكذا النَّصّ الثاني، فـ"صناديد قريش" المخالفين للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله أصبحوا "أذناباً، والدُّور خراباً، والضَّعيف قوياً...". وهكذا. في: ما أعظمهم عليه أشدَّهم حاجة إليه، والبعيد قريب منه؛ لإيمانه. ولو أمعنّا في النَّصّ أكثر؛ لوجدنا التَّضام هنا يأخذ مسار ما يستلزمه الدّال المقابل، بمعنى أنَّ الدّال النِّهائيّ يمثِّل المقترن به وزيادة، كما يأتي: أعظم يقابله الحقير. وأبعد يقابله القريب، ولكن شيخ البطحاء أبا طالب عليه السلام لم يختر نسق المقابلة فحسب، بل زيادة عليها أيضاً، وذلك فيما يوجبه الاحتقار، والقرب، وهو الحاجة والحظوة.

ولعلَّ في النَّصّ هذا أيضاً من نسق التَّضام بالمقابلة والتَّضاد السِّياقيّ ما يشوبه من نحو:

٦ـ الاستلزام الحقيقيّ أيضاً، ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله رضي الله عنه: "صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَا،.. وَاتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالْعُقُوقَ،... أَجِيبُوا الدّاعِيَ، وَأَعْطُوا السّائِلَ؛... وعَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ؛..".

ففي هذا النَّصّ أيضاً من تضافر العلاقات السّابقة منها في أنساق المقابلة والتّضاد ما أسمّيه التّضاد السِّياقيّ، وهو ما يلمح من العبارات الإيجابيَّة في "صلوا، أجيبوا، أعطوا"، في مقابلة السّلبية منها: "لا تقطعوا، اتركوا". ففيها من نحو الإثبات والنَّفي ما تنعقد عليه قضيَّة النَّصّ الكبرى دلاليّاً، فالانتقال من الإثبات إلى النَّفي على المستوى الخطِّيّ؛ هو توكيدٌ لعطاء المرسَل المعنويّ، أمَّا نحو الاستلزام الحقيقيّ، ففي الكلمات أنفسها حين تستدعي ما تطلبه من مفعولها، وذلك في أنَّ "الداعي يُجاب، والسائل يُعطى، والحديث يُصدَق، والأمانة تُؤدَّى"، وقد يكون العكس، فضلاً عن أنَّ "الرحم توصل، وتقطع، والبغي يترك"؛ مطلباً تداوليّاً من خبير، وإرادة لإنجاز بمعرفة من تجربة، وتنفيذاً إنجازيّاً، وأثراً بقيمة عمليَّة من ذي خُلق.

وقد يتأسَّس من النَّصّ **أنساقٌ من التَّضام الدَّلاليّ**، وذلك في استعمل جملة من الاقتران، يكون سياقاً خاصّاً ومعياراً في كيفيّات الاستعمال المعجميّ، وبحسب المجالات والحقول الدَّلاليَّة، كما في قوله رضي الله عنه: "لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ

سَبِيلَهُ إلّا رَشَدَ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَدْيِهِ إلّا سَعِدَ". فالرشد إنَّما يقوم على سلوك السّبيل، والسّعد يكون بأخذ الهدى، دلالة واتساقاً معجميّاً وتماسكاً نصّيّاً.

نظم الإحالة والتَّشكيل اللَّفظيّ الدَّلاليّ ـ فاعليَّة الاتساق:

ـ نحو الإحالة وتقنيات التَّرابط والمطابقة بين أنظمة الدّوال النَّصِّيَّة:

يشبك النَّصُّ نسيجَه الكُلِّيّ بكلّ إشارياته وعلاماته، فهذه الدَّوال حين التَّوظيف تتشبث في عوالم شبكة النَّصّ الدّاخليَّة، والخارجيَّة السِّياقيَّة المقاميَّة تشبّثَ اقتضاء وتكوينٍ وتتعالق بكيفيّات خاصّة، ولا تنفكّ عنه إلا بسبب، وإلا لأصبح النَّصّ عبارة عن دوال مشتتة من غير جامع ومرجع.

ولعلَّ نظم الإحالة والمرجعيَّات التَّطابقيَّة في التَّشكيل النَّصِّيّ في نظر الدِّراسات النَّصِّيَّة[1] تمثِّل أعلى مقولات جامعة الاتّساق النَّصِّيّ ووسائله الضامنة للتماسك اللَّفظيّ والدَّلاليّ، تلك "الإحالة REFERENCE" التي تُعرَّف "بأنَّها علاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجيّ الذي تشير إليه العبارات"[2]. أو بعبارة أخرى: "الإحالة علاقة بين الخطاب وما يحيل

---

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ١٧٢، و٣٢٠، و٣٣٢، وفي بناء النص ودلالته؛ مريم فرنسيس: ١٣، و٢١، ومدخل إلى علم النص؛ زتسيسلاف واورزنياك: ١٤١، ولسانيات النص؛ محمد خطابي: ١٦، ونسيج النص؛ الأزهر الزناد: ٣٥، ١١٥، ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ١١٦، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش ١ : ١٢٣، وعلم اللغة النَّصِّيّ؛ صبحي إبراهيم الفقي ١: ١١٦، و١٤٣، ١٦١.

(٢) النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ١٧٢.

عليه الخطاب إن في الواقع أو في المتخيّل أو في خطاب سابق/ لاحق"[١].

ولاعتماد قرائن الإحالة أصول وشروط[٢]، فهي عناصر كنائيَّة لا معجميَّة: مثل الضّمائر وأسماء الإشارة، والموصولات وغيرها من أدوات المقارنة، ولها بعدُ، خصوصيَّة في الاستعمال وما تؤدّيه من أثر في خلق النَّصّ، وربط اللُّغة بالسِّياق والمقام، فهي من جهة إحالة ومرجعيَّة على شيء تلتزم به وتراعي مطابقته الدّلاليَّة، وأخرى عبارة عن وسيلة اختزاليَّة في التَّعبير والاقتصاد في اللَّفظ والتَّعبير، ولهذا قسَّمها علماء لغة النَّصّ على قسمين رئيسين، هما[٣]: الإحالة المقاميَّة، وهي التي تكون خارج النَّصّ. والإحالة النَّصِّيَّة، أي داخل النَّصّ، وفرعوا الثَّانية إلى: إحالة قبليَّة سابقة، وإحالة بعديَّة لاحقة، وكلٌّ منهما يعمل على ربط أجزاء النَّصّ وشدّ مكوّناته وتماسكه.

وفي نصِّيَّة وصيَّة أبي طالب رضي الله عنه الشريفة من العناصر الإحاليَّة الكثير، ولأنَّها بحسب الدّال ونوعيته، لذا يمكن تقسيمها على نحو ما يأتي:

١ـ الإحالة بالضَّمائر:

الضَّمائر، ومنها الوجوديَّة، وتتمثَّل:

---

(١) الخطاب وخصائص اللغة العربية؛ أحمد المتوكّل: ٧٣.

(٢) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣٢٠، ونسيج النَّصّ؛ الأزهر الزناد: ١١٧- ١١٨.

(٣) ينظر: لسانيات النص؛ محمد خطابي: ١٧، ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ١١٧.

الإحالة السِّياقيَّة المقاميَّة، الإحالة على خارج النَّصّ، وهم أهله وأقرباؤه وبنو قريش ومعاشرها، وذلك في قوله عليه السلام: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَلْبُ الْعَرَبِ، فِيكُمْ السّيّدُ الْمُطَاعُ، وَفِيكُمْ الْمُقَدّمُ الشّجَاعُ، وَالْوَاسِعُ الْبَاعِ. وَاعْلَمُوا أَنّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إلّا أَدْرَكْتُمُوهُ، فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ، وَالنّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ إلْبٌ".

وغيرها في سائر فقرات الوصيَّة، هكذا: الظَّاهر المنفصل "أنتم". والمتّصل منه بفعل ضرورة: "اعلموا، تتركوا، احرزتموه، أدركتموه، اتركوا، صلوا، لا تقطعوا، أجيبوا، أعطوا، أوصيكم، أوصيتكم، كونوا"، أو باسم: "حربكم، أرحامكم، قبلكم، أبيكم"، أو بحرف: "أنّكم، فيكم، لكم، إليكم، عليكم، منكم". أو باسم فعل: "دونكم، بمعنى ألزموا".

فكلّ هذه الدَّوال ـ الضّمائر إنَّما تحيل على حضور قائم، بل هي على إشارتها الحضوريَّة المقاميَّة، تنقل النَّصّ من كونه الدَّلاليّ العام إلى كونه الدَّلاليّ الخاصّ في السّامعين وذلكم الجمع الكريم، وهي إحالات سياقيَّة خارجيَّة نصِّيَّة مقاميَّة، ولولاها، أعنيّ السِّياق ـ سياق الوصية ـ وظروفها المحطية؛ لما كان النَّصّ متطابقاً مع وقائع التاريخ ولحظة الإرسال، بل لما كان مقبولاً؛ لعدم الإحالة على معروف، أمَا وقد عُرِفَ مَن يُخاطِب، وهم الحاضرون عنده؛ بوصفهم مرجعاً يتصيّده الدّال اللَّفظيّ الضَّمير "أنتم،... وصوره الأخرى: كاف الخطاب،

والواو"، فإنَّ النَّص والسِّياق المقاميّ يصادفهما ميعاد تكوينه الدَّلاليّ في كفاية تواصليَّة إعلاميَّة إبلاغيَّة.

لقد وثّق المضمر هنا بما يدلّ أو تحيل عليه من مقام حضوريّ، وثَّق بنيته العليا، في جنس الوصيَّة، ثُمَّ أشاع أن أعطى للمستندات الحمليَّة في النَّصّ على الحضور؛ بوصفها فروضاً أدبيَّة وشروطاً لا بدّ من التزام بها، أعطاها سمة من قبول وخصائص من قصد في تطابقها، إنَّه نصّ يشرح نفسه في دائرة التّلقِّي الحضوريّ الحاضر، والحضور الغائب، لينقلنا فيه أبو طالب رضي الله عنه إلى تلك اللحظة الحزينة، وهو على سلم الانتقال إلى العالم الآخر!.

ـ المستوى الشَّخصيّ على قسميه: المتكلِّم والملكيَّة:

الإحالة المقاميَّة وقرينة التَّكلُّم، وذلك في قوله رضي الله عنه: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ـ يعني الكعبة...". وقوله رضي الله عنه: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدِ صلى الله عليه وآله خَيْراً،... كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ،...". والملكيَّة/ التّملُّك بنحو الإضافة، وذلك في قوله رضي الله عنه: "وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدَّةٌ، وَلِأَجَلِي تَأْخِيرٌ؛ لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِزَ، وَلَدَافَعْتُ عَنْهُ الدّوَاهِيَ".

يربط المنشئ/ المتكلِّم ذاته الخارجة عن النَّصّ ببيئة النَّص وسياقه الدَّاخليّ، فقرينة التَّكلُّم هنا على أصنافها في المضمر المتصل بالفعل ضرورة: "أوصيتُكم "= التاء"، كفتُ، ودافعتُ"، أو بحرف: "أنِّي، كأنِّي". ومستترة بالفعل ضرورة: "أوصيكم "= أنا"، أنظرُ "= أنا" "ـ أقول ضرورة لخصوصياتها السّياقيَّة في التّشكل اللّغويّ، والتَّركيب النَّحويّ ـ تؤدِّي وظيفة الإسناد الحمليّ

مرةً، وتعقد للنصّ ترابطاً له بالذات الخارجة عنه مرةً أخرى، وكلّ من التَّرابط الخارجيّ والدّاخليّ النَّصّيّ الحمليّ يسهم في تماسك النَّصّ واتساق دلالته. وكذا القول في الضَّمائر المُلكيَّة تلك التي ترتبط بالاسم: "نفسي، أجلي".

وقد يكون من تضافر التَّكييف الإحاليّ مراجع ظاهرها خارجيّ، وباطنها داخليّ، وهي في الإحالة على النّحوين معاً على سمة من الاتساع الدَّلاليّ لما في الوسيلة من أثر وقدرة على توثيق الاستمرار الدّلاليّ في النَّصّ المرسل، وقد يتصوّر ذلك، ليس في الإحالة على المخاطب وما وضع له، بل في المضمر الغائب أيضاً، وذلك قوله عليه السلام: "وَأَيْمُ الله، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ، وَأَهْلِ الْبِرّ فِي الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ النّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَصَدّقُوا كَلِمَتَهُ، وَعَظّمُوا أَمْرَهُ، فَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ،...".

فالمضمر في الفاعل "الواو" في "أجابو، صدقوا، عظوا". والمضاف إليه بالمفعول "دعوته، كلمته، أمره،..."، تحيل على شيئين الأوَّل داخل النَّصّ ومرجعه في الأوَّل "العرب" والثاني في النبي صلى الله عليه وآله، وهو الظّاهر المحقّق لسمة الاتساق، ولكن بالنَّظر والتّأمل نلحظ فيه أنَّه يحيل أيضاً على من هو خارج النَّصّ فعلاً وجوديّاً دالاً عليه بالعبارة الصّريحة في "العرب"، والنَّبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

الإحالة النَّصّيَّة ـ المرجعيَّات الدَّاخليَّة:

ولأن هذه الإحالات كثيرة فيمكن تصنيفها على ما يأتي:

ـ الإحالة الدَّاخليَّة على سابق، في المفرد المذكَّر "الهاء" المتصل، وذلك في قوله رضي الله عنه: "صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ،... لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إِلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إِلّا أَدْرَكْتُمُوهُ.. وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدِ صلى الله عليه وآله خَيْراً، فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ... وَأَيْمُ اللهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ، وَأَهْلِ الْبِرّ فِي الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ النّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَصَدّقُوا كَلِمَتَهُ، وَعَظّمُوا أَمْرَهُ،... وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ. قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وِدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا. دُونَكُمْ ـ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ ابْنَ أَبِيكُمْ كُونُوا لَهُ وُلَاةً، وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً. وَاَللهِ، لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهُ إِلّا رَشَدَ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَدْيِهِ إِلّا سَعِدَ. وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدّةٌ، وَلِأَجَلِي تَأْخِيرٌ؛ لَكَفَفْت عَنْهُ الْهَزَاهِزَ، وَلَدَافَعْت عَنْهُ الدّوَاهِيَ".

مرجع الإحالة بالمضمر في هذه الفقرات من الوصيَّة مرةً قريب، وأخرى بعيد، وإذا كان القريب منه مرصود من غير إعمال لفكر من المتلقِّي له، فإنَّ السِّياق التَّواصليّ في البعيد منه كذلك لا يحتاج إلى مزيد تأمّل في التأويل، بل السَّابق اللِّسانيّ المرجعيّ، لا يكون إلا له، وهنا تتجلَّى ثقَّة المنشئ بالسّامع، وكيف يكيّف الإحالات على درجة من معرفته بما يعود عليه أو يحيل، مسلّماً بما سيكون من توثيق من السّامع، في عودة هذه الدَّوال إلى مراداتها اللِّسانيَّة في البيان والتَّفسير، هذا من جانب. ومن جانب آخر، أنَّ استعمال هذه الإحالات

المرجعيَّة لها من الوظائف الجماليَّة ما تلبي رغبة الاختصار والاقتصاد اللُّغويّ، فهي تشير إلى سابق مذكور، وهي عنوان له، بطريقة الإحالة والتشفير، وهو ـ أعني المرجع اللِّسانيّ المحال عليه ـ المفسِّر الذي يعطي قيمة للإحالة النَّصِّيَّة، ناهيك بما في توظيفه من دفع السأم والملل، وتجنب التّكرار والإعادة اللَّفظيَّة نفسها، وهي قواعد استعمال الضَّمير[1].

فالقريبة من هذه الإحالات ما ارتبط بالاسم، وهو المضمر "ـه"، في: "خلقه"، ومرجعها لفظ الجلالة "الله" "تعالى"، والمتصل بالحرف "فإنَّه، الناسخ، والمنفصل "هو"، تعود إلى قريب، وهو النَّبي "محمد" صلى الله عليه وآله. وفي: "دعوته، وكلمته، وأمره، وعنده"، والمتصل بحرف الجرّ: "عليه، وإليه، ومنه، وله"، كلّها تعود أيضاً إلى النَّبي "محمد" صلى الله عليه وآله الاسم الصّريح سابقاً، وهو بعيدٌ نسبياً لفظاً مرتبةً.

وعليه صلى الله عليه وآله أيضاً في قرب، بالاسم: "لحزبه، وسبيله، وبهديه"، وبالحرف في: "له، وعنه" كناية "ابْنَ أَبِيكُمْ". وكذلك القريب منه المرتبط بالفعل: "مخضته" إليه. وأيضاً في: "أَحْرَزْتُمُوهُ، أَدْرَكْتُمُوهُ" ومرجعه السّابق الأوّل "نَصِيباً"، والثاني "شَرَفاً".

وقد تكون الإحالة في "ـه" على معنى دلاليّ في نصّ سابق مدرك، وذلك قوله رضي الله عنه: "وَلَهُمْ بِهِ إِلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ،...". فالإحالة هنا تعود إلى سابق يرشحه

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤: ١٩.

قوله رضي الله عنه: "لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إلّا أَدْرَكْتُمُوهُ". على تأويل: ولهم بـه أي بذلك الاحتراز والإدراك للمآثر إليكم الوسيلة.

ـ الإحالة الدَّاخليَّة على سابق، في المفرد المؤنث لفظاً "هـا" المتصل، وذلـك في قوله رضي الله عنه: "أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ـ يعني الكعبة ـ فَإِنّ فِيهَا مَرْضَاةً لِلرّبّ،.. صِلُوا أَرْحَـامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَـا،.. فَـصَارَتْ رُؤَسَـاءُ قُرَيْشٍ وَصَـنَادِيدُهَا أَذْنَاباً، وَدُورُهَـا خَرَاباً، وَضُـعَفَاؤُهَا أَرْبَاباً،.. قَـدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وِدَادَهَـا، وَأَصْـفَتْ لَـهُ فُؤَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا".

فمرجع المضمر المتصل بـالحرف: "فيـها"، "البنيَّـة"، أي: معـروف، وهـو "الكعبـة المـشرّفة"، و"تقطعوهـا"، عـلى "أرحـام"، و"صـناديدها، ودورهـا، وضـعفاؤها" عـلى مجمعهـا جـزء المـضاف "قـريش"، و"ودادهـا، وفؤادهـا، وقيادها"، على جامع آخر، وهو "العرب".

هـذا ولا يفـوتني خـاطر أنَّ متوقَّـع المتلقِّـي في عبـارة "فَـإِنّ فِيهَـا مَرْضَـاةً لِلـرّبّ..."، رُبَّـما استعمال المضمر "فيه"، كـي يعـود عـلى فعـل "التَّعظيم"، أو استعمال اسم الإشارة "ذلك"، بدلاً من "فيها"، أمَا وقد وقع الانتقاء على ما يعود عليه، وهـو الكعبـة "نفسها"، فـإنَّ فيـه ذلـك وزيـادة، حتَّى كأنَّهـا جامعـة التَّوصيف، وهي كذلك.

ـ الإحالة الدَّاخليَّة على سابق، في المثنى: "ـهمـا" المتصل، وذلك في قوله رضي الله عنه: "اتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالْعُقُوقَ، فَفِيهِمَا هَلَكَةُ الْقُـرُونِ قَـبْلَكُمْ. أَجِيبُـوا الـدّاعِيَ، وَأَعْطُـوا

السّائِلَ؛ فَإِنّ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمُمَاتِ. وعَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ؛ فَإِنّ فِيهِمَا مَحَبَّةً فِي الْخَاصّ، وَمَكْرُمَةً فِي الْعَامّ".

فمرجع المضمر "ففيهما" في الفقرة الأولى، "البغي والعقوق" صراحة. ولكن من يتأمّل في توظيف الإحالة في الفقرة الثانيَّة يجدها عبارة عن كفتي ميزان في الدَّلالة على المعنى، فالطّرف الأيمن من النَّصّ، هو الطريف الأيسر منه والجامع هو الإحالة، كيف ذلك؟.

لقد أحال الضَّمير "هما" في الجملة الثانيَّة على مدرك قصديّ سابق، ليس إلى الدّاعي، أو السائل، بل إلى المعنى الجامع من الجملتين، إسنادهما، في تأويل: إجابة الداعي، وإعطاء السائل. فضلاً عن هدف الاختصار والجمع في مادة واحدة يشترك فيهما المتعاطفان: "الحياة والممات" وهو اسم الحرف الناسخ "إنَّ".. شرف..". وكذلك القول في الفقرة الثالثة، "فهما" مفسّرهُ "صدق الحديث، وأداء الأمانة".

ـ **الإحالة الدَّاخليَّة على سابق، في الجمع**: "الواو"، و"هم" المتصلين، وذلك في قوله ﷺ: "فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ،... مِنْ النّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَصَدّقُوا كَلِمَتَهُ، وَعَظّمُوا أَمْرَهُ، فَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ،... وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ".

فهذه الإحالات المرجعيَّة، وإن تقدَّم وصفها بالتَّأويل في كونها تحيل على وجود خارجيّ، إلا أنَّها تحيل على جمعٍ شكَّل دالّ "النّاس" الاسم العموميّ

عليه، فالواو المضمر المتصل بوظيفة الفاعليَّة، تفسره لفظة "الناس"، تلك الأيقونة التي يندرج بضمنها أصناف متعدّدة، هكذا في قوله رضي الله عنه: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ، وَأَهْلِ الْبِرِّ فِي الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ النّاسِ"، وكذا القول في مفسر "بهم". أمَّا من يفكّ شفرة الإحالة في "أَعْظَمُهُمْ، أَحْوَجُهُمْ، وَأَبْعَدُهُمْ، أَحْظَاهُمْ". فمرجعيّتها الجامعة "رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا".

الإحالة النَّصِّيَّة الداخليَّة بالمستتر، ومن ذلك قوله رضي الله عنه: "وَاَللهِ، لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهُ إلّا رَشَدَ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَدْيِهِ إلّا سَعِدَ".

فالضَّمير المستتر في "رشد، وسعد" إنَّما يحيل على متصيده اللِّسانيّ، وهو "أحد، وأحد".

لقد لفتت الإحالة على أصنافها المتقدِّمة أنظار السَّامعين، فصار منشأ تكوينها النَّصِّيّ سبباً داعياً إلى نحو الاتّساق، ولولاها مع سياق النَّصّ وظروفه التَّكوينيَّة؛ لغدت الدّوال الإحاليَّة وكلٌّ منها في جانب من غير جامع واشتراك.

٢ـ الإحالة باسم الإشارة، وهي قليلة بالموازنة الإحصائيَّة بسواها، إذ ذُكِرَت مرتين حسب:

فمن ذلك قوله رضي الله عنه: "وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إلّا أَدْرَكْتُمُوهُ، فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ،...". وقوله رضي الله عنه: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ـ يعني الكعبة".

ففي الفقرة الأولى أحال اسم الإشارة "ذلكم" "إحالة موسعة" على داخل

النَّصّ، أحال إلى مرجعيَّة تعامل السامعين من معشر قريش مع هذه "المآثر"، معبّراً عن ذلك بدالّ على ما فيه من اختزال؛ لعدم إعادة اللَّفظ نفسه؛ للدّلالة على التَّعظيم، أمَّا في فقرة النَّصّ الثاني، فالمشار إليه هو خارج النَّصّ، وهي "الكعبة" المشرّفة. حتَّى كأنِّي بها إحالة داخليَّة بعديَّة، يتأتَّى توصيف إجازتها بما في الإبهام في اسم الإشارة "هذه"، إلى واضح في خلد السامعين، وهو ما بعد الإشارة، الذي يعمل على تفسيره وتوضيحه، وبيانه، وهو "هذه البنيَّة" المشرفة.

٣. الإحالة بالاسم الموصول، ومورده واحد في الوصيَّة الشريفة، بالمشترك منه "ما" فحسب:

قوله ﷺ: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدِ ﷺ خَيْراً، فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ".

تنفتح المرجعيَّة النَّصِّيَّة في هذه الإحالة: الموصول الاسميّ، على متعدّد من المعاني، حتَّى يبدو لي منها الاسم الموصول "ما" اللَّفظ المشترك الذي ينطبق على كلّ شيء إحالةً في سنن الاستعمال اللُّغويّ، يبدو أنَّه عبارة عن خزانة تضمّ في رحابها كلّ الدَّلالات والمرجعيَّات القبليَّة؛ لأنَّه يحيل نصّاً على عموم ما أوصى به أبو طالب ﷺ من الأخلاق الحميدة والصّفات النّبيلة، تلك الإحالة التي تتضح في صلة الموصول متضافرة مع الإحالات الضَّميريَّة، على ما في النَّصّ من مرجع قبليّ مفسِّر، وهو: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - يعني الكعبة - فَإِنّ فِيهَا مَرْضَاةً لِلرّبّ، وَقِوَاماً لِلْمَعَاشِ، وَثَبَاتاً لِلْوَطْأَةِ. صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَا،

فَإِنَّ فِي صِلَةِ الرّحِمِ مَنْسَأَةً فِي الْأَجَلِ، وزيادة فِي الْعَدَدِ، وَاتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالْعُقُوقَ، فَفِيهِمَا هَلَكَةُ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ. أَجِيبُوا الدّاعِيَ، وَأَعْطُوا السّائِلَ؛ فَإِنّ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ. وعَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ؛ فَإِنّ فِيهِمَا مَحَبّةً فِي الْخَاصّ، وَمَكْرُمَةً فِي الْعَامّ".

لقد حقّقت الإحالة المكيَّفة باستعمال الاسم الموصول هنا جملة من أهداف:

أ ـ الإحالة على سابق نصِّي كبير، إعادته مرةً أخرى يخلق جوّاً من الرتابة.

ب ـ انفتاح النّسق اللِّسانيّ على نصّ يحمل في طيّاته جملة من المعاني والدَّلالات الكبيرة.

ج ـ الإشارة إلى النبي الأعظم مرةً أخرى مرةً بالإجمال، ومرةً بالتَّفصيل؛ لأنَّ ما تقدَّم من "صدق الحديث، وأداء الأمانة" مذكور فيه كمالاً، وهو قوله رضي الله عنه: "وَإِنّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله خَيْراً، فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي الْعَرَبِ،...".

د ـ الاختصار والاقتصاد اللُّغويّ، وهو أمر ينسجم مع ظرف الوصيَّة وفضائها.

هـ ـ أدّت الإحالة بالاسم الموصول "إحالة موسعة"، وهو أمر، وإن اقتصر في نظر النَّصِّيين[1] على ما تؤدِّيه أسماء الإشارة، إلا أنَّها مرصودة في هذا النَّصّ إمكاناً واقعاً.

(١) ينظر: لسانيات الخطاب؛ محمد خطابي: ١٩.

٤ـ الإحالة بالمفاضلة، وما يستلزمه التَّقابل:

ويمكن أنْ نرصد ذلك قراءةً، في قوله ﷺ: "لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إِلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إِلّا أَدْرَكْتُمُوهُ، فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إِلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ، وَالنّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ إِلْبٌ". وقوله ﷺ: "وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ".

إذ تشتغل قيم التَّقابل في هذه الفقرات، على نحو إحاليّ ومرجعيّ عقليّ، قائمة على مفاهيم المقارنة والتَّداعي الذي يستلزمه مقابله، هكذا في النَّصّ الأوَّل، موازنة بين سابقة قريش في الفضل والشّرف على سائر العرب، وأفضليتهم على غيرهم. وهذا يقتضي شيئين مذكرين، وهما سابق ولاحق، والمقابلة بينهما نوع من إحالة مرجعيَّة على جامع مشترك، يكون لأحدهما أوَّليَّة فيه. وكذا القول في النَّصّ الثاني في مقولتين: سلبيَّة وإيجابيَّة.

جدليَّة الاتّساع والتَّعيين ـ ثنائيَّة التَّعريف والتَّنكير:

تتخصص قيم الاشتغال النَّصّيّ في مقولتي التَّعريف والتَّنكير، بالمعلومة والاشتراك فيها والمجهول منها، فحين يوظّف النَّصّ دوالّه يتّخذ منها وسائل للتعيين مرةً، ويحيل أخرى على نشاط التلقّي، ولذلك يقول دي بوجراند: "يمكن شرح "التَّعريف" بأنَّه وضع العناصر الداخلة في عالم النَّصّ إذ تكون وظيفة FUNCTION كلّ منها لا تحتمل الجدل في سياق الموقف. ومعنى أن تحدد الوضع status باسم علم مثلاً أو بصفة هي معرفة أنَّك تقول للسامع أو

القارئ إنَّ المحتوى المفهوميّ المضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلوميَّة المنشطة بالفعل. أمَّا عناصر النّكرات INDEFINITE فتتطلب من ناحية ثانية تنشيطاً لمساحات معلوميَّة أخرى"[١].

ويبدو أنَّ علماء لغة النَّصّ والخطاب في نظرتهم للتَّعريف والتَّنكير، لا يقصرون المسألة على ما في المعلومات ومساحة التَّصوُّرات التي لدى المتلقِّي ونشاطه العهديّ، وهو الأصل، بل تجري هذه الوسائل أيضاً على نحو الإحالة وتقسيمها حين الإخبار، على: إحالة بناء. وإحالة تعيين[٢].

لا مجال لمحور خطابيّ إذن، إلا بمعرفة طرفي قناة الاتّصال بعالم النَّصّ، بل قبل الإنشاء، بالعالم الخارجيّ، في الأقلّ المعرفة الإجماليَّة منه، وعالم الخبرات والتَّجارب والممارسات والنّشاطات الحياتيَّة، وهل النَّصّ، أو ما ينعقد فيه إلا تنظيم لهذه النّشاطات والمعلومات بكيفيَّة معيَّنة!.

وعند قراءة نصّ الوصيَّة نجد قيم التَّعريف والتَّنكير، تتوزَّع داخل مكوِّنات النَّصّ على أنحاء كثيرة، وبكيفيَّات مختلفة، سعت وظائفها الاستعماليَّة التَّواصليَّة إلى تمثيل سمة التَّرابط والاتّساق، فضلاً عن الإحالة، يمكن بيانها على نحو ما يأتي:

---

(١) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء: ٣١٠. ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ١١٤.

(٢) ينظر: نحو النص؛ أحمد عفيفي: ١١٦، والخطاب وخصائص اللغة العربية؛ أحمد المتوكل: ٧٨.

التَّعريف بأل، من ذلك قوله ﷺ: "فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ، وَالنّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ إلْبٌ". وقوله ﷺ: "صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَا، فَإِنَّ فِي صِلَةِ الرّحِمِ مَنْسَأَةً فِي الْأَجَلِ، وزيادة فِي الْعَدَدِ، وَاتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالْعُقُوقَ، فَفِيهِمَا هَلَكَةُ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ. أَجِيبُوا الدّاعِيَ، وَأَعْطُوا السّائِلَ؛ فَإِنّ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ. وعَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ؛ فَإِنّ فِيهِمَا مَحَبَّةً فِي الْخَاصّ، وَمَكْرُمَةً فِي الْعَامّ". وقوله ﷺ: "وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدّةٌ، وَلِأَجَلِي تَأْخِيرٌ؛ لَكَفَفْت عَنْهُ الْهَزَاهِزَ، وَلَدَافَعْت عَنْهُ الدّوَاهِيَ".

كل هذه الدّوال ـ ما تحته خطّ للبيان ـ إنّما تجسّد معرفة سابقة للمنشئ لمعرفة الحاضرين، ومعلوماتهم المعهودة، فـ"أل" الدال له من سعة الخزن لمتصوّر الدَّلالات والمعاني فيمن اقترن بها ما يكوِّن وثيقة معرفيَّة بها، فمثلاً "الفضيلة والوسيلة" معهودة معروفة على الرغم من أجناسها الكليَّة؛ لأنَّها غير محددة بمعيّن منها، وهو ما يجعل من الدّال قرينة لإثراء الدَّلالة في النَّصّ واتساع معناه، وكذا القول في "البغي والعقوق"، بتقدير: "كلّ". وهو الأمر نفسه في "الدَّاعي والسَّائل"، وكذلك "الحديث والأمانة"، و"الهزاهز والدواهي". أمَّا "الحياة والممات" فعلى سبيل ما عُهِدَ وعُرِفَ منهما، على نحو اليقين. هذا إذا تركنا مقولة الصّيغ إفراداً منها وجمعاً: المثال الأخير، فكيف، وقد وُظِّفَ كلٌّ في محلّه!.

ولو دقّقنا النَّظر قليلاً لوجدنا بعضاً منها بمنزلة الإحالة على سابق، فـ"أل" في "الرّحم"، مثلاً قد حقّقت بالإحالة على جزء سابق في النَّصّ، وهو

"أرحامكم"، نوعاً من التَّماسك الرَّصفيّ؛ لانَّهما في باب المعرفة واحد، على الرّغم من اختلاف صيغة الدال ذاتاً واقتراناً: معرف بـ"أل" وبالإضافة.

وقد تأتي الدَّالة "أل"، وقد أنشد لها المنشئ من معاني الكمال، ما لا يكون بسواها، لأسباب عديدة، فيقع تكييفها على قمّة من الانتقاء والتَّكوين الدَّلاليّ في النَّصِّ، ناهيك بالتَّرابط على النَّحوين الرّصفيّ والمفهوميّ، في نحو الاتّساق، ولعلَّ هذا مع التَّعريف بالعلم أظهر، كما يأتي:

التَّعريف بالعلم، وذلك في قوله رضي الله عنه: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدِ صلى الله عليه وآله خَيْراً، فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ".

أقول لا يخطر ببال المتلقِّي من المشاهدين والحاضرين، إلا مَن اُخْتُصَّ بهذا الاسم المبارك، وهو النّبي الأكرم "محمد" صلى الله عليه وآله، إنَّه علامة: سمة ومسمّى، تعطي للمعنى أكثر من دلالة، فهو من جانب صريح على نحو الإعلام بالدَّلالة التَّقريريَّة، ومن جانب آخر بالدَّلالة الهامشيَّة المشحونة بالعواطف والشّعور بالحبّ والرفق واللّين والحنان، ناهيك بالتَّعظيم والإكبار لشأنٍ، مع ما يتضافر من حمليات الإسناد الإخباريَّة المعرَّفة بـ"أل": "الأمين، والصّديق"، فكلّ منهما إنَّما يحيل إلى سابق، وهو النّبي الكريم صلى الله عليه وآله، ناهيك بما فيها من دلالة على العموم المطلق، بمعنى أنَّها في كون "كل"، وما ينسبق إليه من معنى عام، ذلك الذي يسجّل فيه الكمال معناه الدَّلاليّ بالاحتمالات الوظائفيَّة؛ لأنَّه يمكن أن يكون خبراً، أو صفة اسماً بالغلبة. ولولا هذه الأمارة = الرابطة؛ لما كانت سمة التَّرابط

النَّصِّيّ قائمة، بل لانحلت أجزاء النَّصّ إلى علامات لا سند لها ولا رابط.

أمَّا العلامة ذات الدَّلالة المجهولة "النكرة"، فهي في حدود ما يكون من نحو العموم الذي يحيل على غير خاصّ بمعيَّن، وهو أمر يجعل المتلقِّي غارقاً في مساحات من النّشاطات الذِّهنيَّة والخاليَّة، وهو في عهدة الخاطر والمعقول من الدال المجهول، من ذلك قوله عليه السلام: "وَاَللهِ، لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهُ إلّا رَشَدَ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَدْيِهِ إلّا سَعِدَ".

فـ"أحد"، الأولى، وإن أحالت "منكم" معها على المتلقِّي الخارجيّ الحاضر تخصيصاً، إلا أنَّها غير مختصّة تخصيص تعيين بواحد دون آخر، وهو انتقاء يدلّ استعماله على الإطلاق والعموم اقتضاءً جارياً على مقتضى السلوك والأخذ والاتباع لعظمة المتبوع.

الرُّتبة ـ حركة الدَّوال النَّصِّيَّة:

يُظهر النَّصُّ في ترتيب عناصره تقديماً وتأخيراً هندسةً خاصّة، مرسومة بكيفيَّة معيَّنة، حتَّى يبدو ترتيب عالم النَّصّ نسخة ظاهرة عن التَّصوُّر العقليّ السّابق للمنشئ، حين يقدّم دالاً، أو يؤخّر آخر؛ وفقاً لاقتضاء السِّياق الخطابيّ. ولأنَّ حركة هذه الدَّوال النَّصِّيَّة على ثنائيَّة التَّوصيف: ثابتة قارّة، وحُرّة متحرّكة، لذا يمكن القول إنَّ القارّة منهما تعمل على تكوين إثبات البناء النَّصِّيّ ذي المعنى الأوليّ، والمتحرّكة على إنشائهِ الدَّلاليّ ذي المعنى الثَّانويّ الإبداعيّ.

وفي نصّ الوصيَّة الشّريفة من حركة الدّوال ما يقود إلى قصد مبتغى،

ويؤسّس دلالة ترتكز على هدف غائيّ، وآخر ما يظهر بإيقاع وموسيقى ونغم خاصّ أثراً، وهكذا. فمن ذلك قوله رضي الله عنه: "وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدّةٌ، وَلِأَجَلِي تَأْخِيرٌ؛...". فتقديم شبه الجملة: "لنفسي ولأجلي"، متعلّق خبر الفعل الناسخ، مورد على نحو العناية والاهتمام، وهما المرصودان من أجل إلفات الآخرين إلى رغبته رضي الله عنه. على أنَّ قوله رضي الله عنه: "فِيكُمْ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ، وَفِيكُمْ الْمُقَدّمُ الشّجَاعُ، وَالْوَاسِعُ الْبَاعِ". تقديمهما "فيكم، على التَّركيب الوصفيّ: المسند إليه وتابعه: "السّيِّد المطاع، والمقدّم الشجاع"، كما يبدو على نحو الاختصاص والمبالغة، فضلاً عن سياق موسيقى التَّركيب المتوازيّ، إذ إنَّهما على زوان واحد.

وكذلك قوله رضي الله عنه: ""فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ، وَالنّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ إلْبٌ". إذ إنَّ تقديم شبه الجملة على المبتدأ هنا حقّق فضلاً عن دلالة الاختصاص، حقّق نسقاً موسيقيّاً وإيقاعاً على المستوى الداخليّ والخارجيّ، الدّاخليّ في المعنى المنسجم، والخارجيّ في الوزن والتَّقفية السّجعيَّة في "فعيلة": "الفضيلة، والوسيلة".

هذا إذا تركنا الفصل في التَّضام النَّحويّ بين "الناس وحزب"، بـ"لكم". وكذلك قوله رضي الله عنه: "دُونَكُمْ ـ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ ابْنَ أَبِيكُمْ كُونُوا لَهُ وُلَاةً، وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً".

أمَّا قوله رضي الله عنه: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ـ يعني الكعبة ـ فَإِنّ فِيهَا مَرْضَاةً لِلرّبّ، وَقِوَاماً لِلْمَعَاشِ، وَثَبَاتاً لِلْوَطْأَةِ". ففيه من تقديم "فيها" نسقٌ ما

لو أُخِرَ لضاع المعنى على المتلقِّي؛ وذلك لطول المسند إليه المتعاطف مع التَّركيب شبه الجمليّ: "مَرْضَاةً لِلرّبّ، وَقِوَاماً لِلْمَعَاشِ، وَثَبَاتاً لِلْوَطْأَةِ"، وهو الأمر الذي يجعل من فاعليَّة تغيير المراتب من الأصل إلى العدول مبدأً ووسيلة؛ لتحقيق التَّماسُك النَّصِّيّ، والاستمرار الدَّلاليّ.

ـ الحذف والاستبدال في السِّياق النَّصِّيّ:

قد يترك أو "يستبدل" المنشئ في تكوينه الإرساليّ بعض العناصر من البنية السَّحطيَّة النَّصِّيَّة[1]، على قاعدة: إنَّ فيما بقي دليلاً على ما تُرِكَ وحُذِفَ أو اَسْتُبدَل، رغبةً بالإيجاز والاختصار؛ لتوافر ما يرأب النَّقص والقصد من قرائن لفظيَّة وسياقيَّة مقاميَّة وظروف خطاب.

وفي تكوين مفارقة بين "الحذف" و"الاستبدال"، على الرّغم من الاشتراك بينهما في الدَّرس النّصِّيّ، يرى علماء لغة النَّصّ أنَّ الحذف علاقة داخل النَّصّ، وهي علاقة قبليَّة اتساقيَّة لا تختلف عن الاستبدال ـ الذي هو كالإحالة تتمّ على المستوى النَّحويّ والمعجميّ ـ إلا بكون الحذف استبدالاً بالصّفر، أي أنَّ علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلّف أثراً، ولهذا فإنَّ المستبدل يبقى مؤشّراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، ممّا يمكنه ملء الفراغ الذي يخلّفه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحلّ محلّ المحذوف أيُّ شيء، بل يبقى في

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣٤٠، وما بعدها.

الجملة الثانية، في مطلب التَّحليل النَّصِّيّ، فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه، اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى، أو النَّصّ السّابق[١].

ولكلٍّ من الحذف والاستبدال أقسام، وظنّي أنَّها أقسام تصنُّفها عناصر التَّكوين النَّصِّيّ وعوالمه الدَّاخليَّة؛ لأنَّها على نحو: اسميّ وفعليّ، وشبه جمليّ، وجمليّ، وقوليّ، ونصِّيّ[٢]، وكلٌّ بشروط تحت سلطة من الاتّساق مع غرض الاستمرار الدَّلاليّ[٣]، ناهيك بمعرفة المنشئ وثقته بقدرة المتلقِّي على الاستدلال.

وفي نصّ الوصيَّة من موارد الحذف ما يتّصف بالدَّرس الحديث بالقيم "الإفصاحيَّة"[٤]"، وذلك في علاقة "**النّداء**"، كقوله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ،...".

فالنِّظام النَّحويّ إنَّما يجري تحليله على قياس ما يفترض من البنية العميقة لهذه الجملة الإنشائيَّة النِّدائيَّة، حين تتحوَّل إلى مطلب كونها الأصوليّ الإخباريّ في جملة: "أنادي معشرَ قريش"، ولكن الدَّرس النَّحويّ الوصفيّ لا يقرّ بها إلا بما يجده ظاهراً من التَّعبير، وهو تعبير في نحو من الإحالة على ما كان في الأصل

---

(١) ينظر: لسانيات النص؛ محمد خطابي: ١٩، و٢١، ونحو النَّص؛ أحمد عفيفي: ١٢٣، و١٢٥، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش ١: ١٣١، وما بعدها.

(٢) ينظر: : لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢٠، و٢٢، ونحو النَّص؛ أحمد عفيفي: ١٢٣-١٢٤، و١٢٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٤، و١٢٦.

(٤) الخلاصة النَّحويَّة؛ تمام حسان: ١٤٨.

إلى نحو الاستعمال والتَّداول في النَّصّ، في معنى الإقبال والالتّفات إلى الحديث المرسل.

وكذلك القول في سياق **القسم**، كقوله ﷺ: "وَاللهِ، لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهُ إِلّا رَشَدَ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَدْيِهِ إِلّا سَعِدَ". فانتقاء ممثِّل اليمين، إنَّما هو الإنشاء لما يأتي بعده؛ ولذلك يقتضي التَّصرُّف الاستعماليّ نسق موجبه النَّحويّ التَّداوليّ، وهو حذف الفعل "أقسم" وجوباً، ليتعلَّق القسم به.

وقد يأتي الشّيء على **صفة**، ولكن يُترك وصفه؛ للدَّلالة عليه دلالة منطقيَّة لا يمكن وصفها إلا بما يفتحه السِّياق النَّصِّيّ إيجاباً أو سلباً فيه، فمن الإيجاب، قوله ﷺ: "فَصَارَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَاباً، وَدُورُهَا خَرَاباً،...".

فلا شكَّ في أنَّه ثمَّة حذْف في العبارة، وهي صفة بتقدير "العامرة"، للموصوف "دورها"، بدليل من الإخبار نفسه، خبر الفعل الناسخ "صارت"، "خراباً"، إذ لا يصح الإخبار عنها بذلك إلا بكونها منطقاً عامرة سابقاً قبل الخراب، وهو حذف جميل، على الرّغم ممّا يحقّقه من الاقتصاد اللُّغويّ، يجعل فيها في تلك البيوت مطلق العموم الدَّلاليّ، ليتصف بالإخبار، حتَّى كأنَّ الإخبار يحقّق سمة الاستمرار الدَّلاليّ ليس على المستوى النَّحويّ فحسب، بل بالمستوى الدَّلاليّ المنطقي أيضاً.

وقد يترك ما يكتنفه النَّصّ من معنى معروف ودلائل مشهودة لمعرفة المخاطبين، وللتركيز على مطلب الإرسال فيه، تصريحاً في الأوَّل، وتلميحاً في

الثاني، وذلك في قوله رضي الله عنه: "دُونَكُمْ ـ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ ابْنَ أَبِيكُمْ كُونُوا لَهُ وُلَاةً، وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً.... وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدّةٌ، وَلِأَجَلِي تَأْخِيرٌ؛ لَكَفَفْت عَنْهُ الْهَزَاهِزَ، وَلَدَافَعْت عَنْهُ الدّوَاهِيَ".

فالتَّصريح الإرساليّ في هذه الفقرة من النَّصّ، إنَّما يضمر تلميحاً مخصوصاً بالمنشئ، ظاهره، بدلالة النَّصّ، وفحواه، هكذا: كونه له ولاة وحماة، كما كنتُ أنا له كذلك، ولو كان لنفسي مدة،... لكففت عنه، لكن أنتم ـ أيُّها السامعون ـ تعرفون يقيناً واقعاً أنَّه لا يكون لي ذلك؛ لأنِّي سأرحل إلى عالم آخر، فلا تخذلوني بوصيتي، وما أوصيتكم به، "إِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله خَيْراً،...".

وقد يتأتَّى من الحذف ما يُؤدَّى وقد كشفت عنه الوسائل التَّعويضيَّة تلك التي تقيم علائق بين المكوِّنات النَّصِّيَّة وترابطاً شكليّاً ـ دلاليّاً، وهو علاقة العطف: "على نيَّة تكرار العامل"[1]. كقوله رضي الله عنه: "أَنَّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إلّا أَدْرَكْتُمُوهُ،...". وقوله رضي الله عنه: "فَصَارَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَاباً، وَدُورُهَا خَرَاباً، وَضُعَفَاؤُهَا أَرْبَاباً،...". كما سيأتي أيضاً.

أمَّا الاستبدال، فأجدُ فيه، على ما سلف ذكره من علماء لغة النَّصّ، سعةً، إذ يمكن أن يكون توصيف مواضع الإضمار والإظهار من دواعي أبوابه وسياقاته، وقد تقدَّم بنا كثير من أنماط الإحالة الضَّميريَّة، فالاستبدال والتّحوُّل من الظّاهر

(١) شرح ابن عقيل ١ : ٥٩٦.

إلى المضمر، في ظنّي نوع من الاستبدال على المستوى النَّصِّيّ، وكلٌّ منهما شكلي لغوي ومعنويّ دلاليّ، ويفي بالغرض من الاستعمال في مقولة التَّماسُك النَّصِّيّ، وفي غرض الاستمرار وعدم القطع الدَّلاليّ التَّواصليّ.

وسائل الربط والتَّرابط الأخرى:

ـ نحو التَّوابع والعلاقات الجزئيَّة في النَّصّ:

من الوسائل التي يتحقّق بها التَّماسُك النَّصِّيّ "التَّوابع"، وهي علاقات ثنائيَّة تقيم ترابطاً بين المكوِّنات في عالم النَّصّ نحو علاقات **الوصف**، كقوله عليه السلام: "فِيكُمْ السّيِّدُ الْمُطَاعُ، وَفِيكُمْ الْمُقَدّمُ الشّجَاعُ، وَالْوَاسِعُ الْبَاعِ". وقوله عليه السلام: "وَإِنّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدِ صلى الله عليه وآله خَيْراً، فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ".

فالنَّصّ الأوَّل يربط "المطاع"، بـ"السَّيِّد"، و"الشّجاع"، بـ"المقدَّم"، علاقة تبعيَّة وصفيَّة ليست إيضاحيَّة فحسب، بل توكيديَّة "على خلاف مقتضى الظَّاهر"؛ لمعرفة السّامعين ومعلوماتهم السّابقة للتوصيف. أمَّا النَّصّ الثاني، فعلى سبيل الاحتمال والاتّساع الدَّلاليّ، وقد تقدَّم بنا أيضاً، فكلٌّ من "الأمين والصّديق"، يمكن أن يكون خبراً وصفةً، وهو، في ظنّي، إلى الصِّفة أظهر؛ لأنَّ الإخبار إنَّما يكون للإعلام من غير سابق، أمَّا الوصف، فليس كذلك هنا؛ لمعرفتهم به صلى الله عليه وآله.

ومن ذلك أيضاً وسيلة "**العطف**"، وفي مذكرة النَّصِّيين أنَّها من الوسائل

الـشّكليَّة والدَّلاليَّـة[1]، حتَّـى كأنَّهـا جامعـة لوصـف التَّماسُـك النَّـصِّي لأهميتهـا بالاستعمال. وفي نصّ الوصيَّة الشَّريفة نجد أنَّ علاقة العطف النَّسقيَّة ـ "العطف بـالواو" ـ تهـيمن عـلى مكوِّنـات الـنَّصّ؛ لتجعـل منهـا بنيـة متماسكة في ترتيـب متسلـسل مـنظم لعـالم الـنَّصّ، إنْ عـلى المـستوى الإفـراديّ أو التّتـابع الجمـليّ المتسلـسل إلى الـنَّصّ الأكـبر، فمـن ذلـك قولـه رضي الله عنه: "صِـلُوا أَرْحَـامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَا، فَإِنَّ فِي صِلَةِ الرّحِمِ مَنْسَأَةً فِي الْأَجَلِ، وزيادة فِي الْعَدَدِ، وَاتْرُكُـوا الْبَغْـيَ وَالْعُقُوقَ، فَفِيهِمَا هَلَكَـةُ الْقُـرُونِ قَـبْلَكُمْ. أَجِيبُـوا الـدّاعِيَ، وَأَعْطُـوا الـسّائِلَ؛ فَـإِنّ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ. وعَلَـيْكُمْ بِـصِدْقِ الْحَـدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَـةِ؛ فَـإِنّ فِـيهِمَا مَحَبّـةً فِي الْخَـاصّ، وَمَكْرُمَـةً فِي الْعَـامّ". وقولـه رضي الله عنه: "وَأَيْـمُ الله، كَـأَنِّي أَنْظُـرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ، وَأَهْلِ الْـبِرّ فِي الْأَطْـرَافِ وَالْمُسْتَـضْعَفِينَ مِـنْ النّـاسِ قَـدْ أَجَـابُوا دَعْوَتَهُ، وَصَدّقُوا كَلِمَتَهُ، وَعَظّمُوا أَمْـرَهُ، فَخَـاضَ بِهِـمْ غَمَـرَاتِ الْمَـوْتِ، فَـصَارَتْ رُؤَسَـاءُ قُـرَيْشٍ وَصَـنَادِيدُهَا أَذْنَابـاً، وَدُورُهَـا خَرَابـاً، وَضُـعَفَاؤُهَا أَرْبَابـاً، وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَـدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَـاهُمْ عِنْـدَهُ. قَـدْ مَحَـضَتْهُ الْعَـرَبُ وِدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا".

أقول: كيف يمكن أن نتصوُّر النَّصّين من غير "العطف"، وفاعليَّة "الواو"،

---

(١) ينظر: علـم اللُّغـة النَّـصّي؛ صـبحي إبـراهيم الفقـي ١ : ١٢٠، و٢٤٧، و٢٥٧، وأصـول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش ١ : ٤٠١، وما بعدها، ولسانيّات النص؛ محمد خطابي: ١٠٠، وما بعدها. ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ١٢٩.

هذه، وما نشرته من قدرة على إمساك المكوِّنات وترتيبها على نسق معيَّن، هكذا إذن، لا يكون ثمَّة نصّ متماسك منظَّم بسواها. فهي مرةً حاكمة على التَّنظيم الشّكليّ، وأخرى سلطة على الرّصف المفهومي الدَّلاليّ، وذلك فيما يأتي: ١ـ الاختصار العامليّ، ٢ـ التَّنظيم الدَّاخليّ والخارجيّ، ٣ـ التَّصوير النَّسقي للتفكير، ٤ـ الوسيلة الأظهر في الوصيَّة لجامعة التَّماسُك النَّصِّيّ.

التَّرابط المفهوميّ ـ العلاقات الدَّلاليَّة في النَّصّ:

يحظى النَّصّ بمبدأ القبول وعدمه إذا كانت عوالمه الدَّاخليَّة مبنيَّة على "حُبْك" و"ترابط" يحكي عن علاقات مفاهيميَّة منطقيَّة منسجمة مع العوالم الواقعيَّة، ناهيك بالمعلومات التي يروم إرسالها وتوصيلها في نسق تنظيميّ مقصود، ولذلك صدرت مذكرة النَّصّيين مفهوم وحدة "موضوع التَّخاطب"، مع جملة من الشّروط، التي كان مفتاحها السّؤال: ما الذي يحكم التَّرابط في النَّصّ على المستوى المفهوميّ ـ الدّلاليّ؟. لتقنن بالتَّحليل الإجرائيّ على ما يأتي[1]: ١ـ معاني الكلمات بين القضايا والتَّراكيب النَّصِّيّة، ٢ـ التَّطابق الإحاليّ بين السّابق واللاحق، ٣ـ التّرتيب الزمني بين المقدِّمات والتَّوالي.

ولئن كانت هذه المقاييس معياراً في التَّوصيف النَّصِّيّ لمبدأ القبول وعدمه، فلهي ـ حقّاً ـ منظِّمٌ لعالم الفكر الذي يتجلَّى في عالم معلومات النَّصّ، وعلاقات التَّكوين الدَّلاليَّة التي تلحظ فيه، كعلاقة الإجمال والتَّفصيل، والأسباب

(١) ينظر: لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٣٢، وما بعدها.

والنَّتائج، والشَّرطيات، والقياس على المتقدِّم والمقارنة، والسُّلميَّات الحِجاجيَّة، وغيرها من العلاقات الملحوظة في عالم النَّصّ، تلك التي تجسِّد التَّرابط ـ سبْكاً وحُبْكاً ـ والتَّعالق بين القضايا وعالم الواقع.

وفي نصّ الوصيَّة تتجلَّى أنماط التَّرابط المفهوميّ ـ الدَّلاليّ، وقد اتخذت أشكالاً مختلفة من العلاقات، منها:

علاقة الأسباب ـ العلل والنّتائج:

وذلك كقوله ﷺ: "لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيباً إِلّا أَحْرَزْتُمُوهُ، وَلَا شَرَفاً إِلّا أَدْرَكْتُمُوهُ، فَلَكُمْ بِذَلِكُمْ عَلَى النّاسِ الْفَضِيلَةُ، وَلَهُمْ بِهِ إِلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ، وَالنّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ إِلْبٌ".

فلو عكسنا العبارة، كي تكون النتائج في المقدِّمة، والأسباب في الخاتمة، تكون هكذا: النتائج: "لكم الفضيلة على الناس"، والسبب والمقدِّمة لامتلاك ما للعرب من مآثر وشرف، ولكي تأتي إليهم الناس عليهم أن يتسلحوا بما هم عليه من فضل ومنزلة إعلاء مكانة وتقدير فضل.

وكذلك قوله ﷺ: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ـ يعني الكعبة ـ فَإِنّ فِيهَا مَرْضَاةً لِلرّبّ، وَقِوَاماً لِلْمَعَاشِ، وَثَبَاتاً لِلْوَطْأَةِ. صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَا، فَإِنَّ فِي صِلَةِ الرّحِمِ مَنْسَأَةً فِي الْأَجَلِ، وزيادة فِي الْعَدَدِ، وَاتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالْعُقُوقَ، فَفِيهِمَا هَلَكَةُ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ. أَجِيبُوا الدّاعِيَ، وَأَعْطُوا السّائِلَ؛ فَإِنّ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ. وعَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ؛ فَإِنّ فِيهِمَا مَحَبّةً فِي

الْخَاصّ، وَمَكْرُمَةً فِي الْعَامّ".

فكلّ ما يأتي بعد عبارة: "فإنَّ فيها..."، و"ففيها،..." و"فإنَّ فيها..."، عبارة عن سبب داعٍ لذلك النَّصح والإرشاد والطلب المقدّم في نصّ الوصيَّة. ولا شكَّ في أنَّ إهمال الالتزام به يعني اختلال النّتائج والوقوع في المحذور الذي يجب اجتنابه. ولقد تكفي هذه الدعوة في قبول النَّصّ والأخذ به، ليقين الحاضرين ـ محل الإرشاد لمن هم في نصّ الوصيَّة ـ بذلك ومعرفتهم به، حتَّى كأنَّ النَّصّ ينساب إليهم انسياب الغدق السهل الجميل، فيتلقّى بالحيازة والقبول.

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: "قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَصَدّقُوا كَلِمَتَهُ، وَعَظّمُوا أَمْرَهُ، فَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ،...". فالسّببيَّة في "الخوض" يأتي نتيجة للطاعة والتَّصديق والقيادة، وقد يترتّب عليه أيضاً قوله ﷺ: "فَصَارَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَاباً، وَدُورُهَا خَرَاباً، وَضُعَفَاؤُهَا أَرْبَاباً، وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ. قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وِدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا". وترتيب تراكميّ أيضاً آخر في قوله ﷺ: "دُونَكُمْ ـ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ ابْنَ أَبِيكُمْ كُونُوا لَهُ وُلَاةً، وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً".

علاقة الاقتضاء الموجب:

ويمكن أن نلح هذه العلاقة في قوله ﷺ: "وَاللهِ، لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهُ إِلّا رَشَدَ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَدْيِهِ إِلّا سَعِدَ". فمقدمة الاقتضاء الموجب في "سلوك سبيله، والأخذ بهديه ﷺ"، تقتضي حتميَّة "الرشد والسعد"، بلا بديل.

علاقة التَّفصيل والإجمال:

ومن العلاقات أيضاً: التَّفصيل بعد الإجمال، وإذا كان الأخير يحتاج إلى الأوَّل؛ لأنَّه بمنزلة التَّفسير والبيان له، على قاعدة: أجمل في مكان فُصِّل في موطن آخر، كما يقول علماء العربيَّة[1]، فإنَّ في نصّ الوصيَّة من هذه العلاقة ما يشهد نصّها بالعكس، وذلك قوله رضي الله عنه: "وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمّدِ صلى الله عليه وآله خَيْراً، فَإِنّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصّدّيقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ". هذا الإجمال.

أمَّا التفصيل والتَّفسير، ففي قوله رضي الله عنه: "صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَلَا تَقْطَعُوهَا،... وَاتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالْعُقُوقَ،... أَجِيبُوا الدّاعِيَ، وَأَعْطُوا السّائِلَ؛... وعَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ؛...".

فهذا النَّصّ الأخير التَّفصيليّ، هو عبارة عن تفسير وإيضاح، لقوله رضي الله عنه: "وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ".

قُرَّ عيناً ـ كلمة لأبي طالب شيخ البطحاء رضي الله عنه:

في دمج المحورين السابقين بمقولة نصّ الوصيَّة والامتثال لما فيها من بنود تجري مجرى القانون والدستور الإنساني، عقيدة وسلوكاً على محاور مقدَّسة، يمكن أن نقول إنَّها لحظة زمنيَّة في عهد تاريخيّ قريب من البث والإرسال،

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي ٢: ١١٣، والاتقان في علوم القرآن؛ السيوطي ٤: ١٦٢.

ولحظة زمنيَّة هي الآن، ورُبَّما سياق في مستقبل على قاعدة الجري والتَّطبيق في أنَّ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السَّبب[1]. ولأن النَّص لا يقف عند حدود الوصف، بل يتعدَّى ذلك إلى إدراك آثاره وما يترتّب عليه من نتائج، ولاسيما أنَّ الحضور من آل أبي طالب رضي الله عنه، يمكن القول لسيِّدنا أبي طالب رضي الله عنه أيَّها الشَّيخ الجليل، يا قلب قريش وعقلها، أطمئِن، يا سيدي، لقد تحقَّق ما تنبأتَ به من مناصرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وإظهار دين الله "تعالى" وآمن به النَّاس، وساروا على هديه، واتبعوا نهجه، وصارت كلمة الله "تعالى" هي العليا، وكلمة الكافرين هي السُّفلى.

فسلام عليك ـ أبا طالب ـ يوم وُلِدَت، ويوم انتقلت إلى العالم الآخر، ويوم تُبْعَثُ حياً، يوم تأتي، وقد تعلَّق قلبُك الكبير بحبِّ الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله ليس في حياته المباركة فحسب، بل وأنت على ميعاد من سفرٍ عن هذه الدُّنيا في خوف وألم وحزن عليه، تاركاً من الوثائق ما يعقد لقيم النّبل معنًى، كما وصفت أنتَ، في: "شرف الحياة والممات".

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي ١: ٣٩، والاتقان في علوم القرآن؛ السيوطي ١: ٩٧- ٩٨.

الخاتمة

شرع الدَّرس مبدأ في منهج أفضى إلى ثُلَّة من نتائج، يكن إجمالها على نحو ما يأتي:

- نحو الجملة فيه من سياق الأنساق ما يجعل النَّصّ محوّلاً عنه، ومقيساً عليه؛ لأنَّه عبارة عن تحليل من الجملة الأولى إلى الثانية، على أنَّ سياق التَّحليل في المذكرة النَّصِّيَّة، لا يعني ترك الأولى بوصفها محور السياق الخطابيّ.

- يجسد النَّصّ مشروعيَّة نفسه في كونه دائرة معارف تستقي من كلّ المدركات، تنشر ذاتها في فضاء المعرفة والإدراك والانتاج والتَّخطيط والتَّجنيس.

- حوت مقولات النَّصِّيَّة في نصّ الوصيَّة الكريمة معاني كان أعلى بنيتها الكبرى: العناية بالنَّبي الأعظم ﷺ، والدفاع عنه، والاهتمام بالكعبة الشَّريفة، والالتزام بالأخلاق الحميدة.

- لخصاص نصّ الوصيَّة من مبادئ الخطاب وكيفيّاته في التَّكوين والإنشاء

ما تجسَّدَ على محوري السَّبك والحبك، فكان فيها من قيم الإحالة الضَّميريَّة المحورية الخطابيّة، والإشاريَّة والموصوليَّة، وكذا الاتّساق المعجميّ والتَّرابط في علاقة الجزء بالكُلّ، والاشتمال والتَّضمين والمقابلة. ثُمَّ حركة الدوال النَّصِّيَّة تقديماً وتأخيراً، والحذف والاستبدال، إلى نحو التَّرابط المتسلسل في التّوابع، كالعطف والنَّعت، على المستوى النَّحويّ الشكلي، ثُمَّ التَّرابط المفهوميّ ـ الدَّلاليّ، ما أسهم في تماسكه اتّساقاً وانسجاماً في هدف من الإرسال على نحو الاستمرار الدَّلاليّ التَّواصليّ الإبلاغيّ. كلّ هذا والنَّصّ يضمّ، بعدُ، من القيم ما تركنا نحوَه إيجازاً واختصاراً، لمبدأ الدّرس الذي عُقِدَ عليه عنوانه.

– لا يمكن تصوُّر المبادئ الأخرى من القصديَّة والإعلاميَّة والموقفيَّة من غير نصِّيَّة المتقدِّم، إنَّها فيه ومنه على قدر التَّكوين، فلا إنشاء بغيرها، ولا نصّ بقيم دلاليَّة بسواها، وهو ما عليه نصّ الوصيَّة.

ثبت المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (أو الفضل جلال الدين عبد الرحمن الشافعي، ت٩١١هـ)، تح: طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقيَّة، القاهرة، مصر.

٢- أُسس علم لغة النَّصّ ـ التَّفاعل ـ النَّصّ ـ الخطاب، مرجوت هاينه مان، فولفجانج هاينه مان، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، مصر ـ القاهرة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٣- الأسلوبيَّة وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ٢٠٠٢م.

٤- إسهامات أساسيَّة في العلاقة بين النَّصّ والنَّحو والدَّلالة، مجموعة مقالات نقله إلى العربية وعلّق عليه، أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٥- أصول تحليل الخطاب في النَّظريَّة النَّحويَّة العربيّة ـ تأسيس "نحو النَّصّ"، محمد الشاوش، ط١، جامعة منّوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، تونس، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٦- الأصول، دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللُّغويّ عند العرب، د. تمّام حسّان، دار الشّؤون الثّقافيّة، بغداد، ١٩٨٨م.

٧- انفتاح النَّصّ الروائي، سعيد يقطين، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠١م.

٨- البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ (بدر الدين مُحمّد بن عبد الله، "ت٧٩٤هـ")، تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٩- تحليل الخطاب الروائي ـ الزمن، السرد، التبئير، سعيد يقطين، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، والدار البيضاء، ١٩٨٩م.

١٠-تحليل الخطاب الشعري "استراتيجيَّة التَّناص"، د. محمد مفتاح، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٥م.

١١-التَّحليل اللُّغوي للنّصّ، كلاوس برينكر، ترجمة، وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط٢، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، مصر ـ القاهرة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٢-الخطاب وخصائص اللُّغة العربيَّة، دراسة في الوظيفة والبنية والنَّمط، د. أحمد المتوكّل، ط١، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، بيروت، منشورات

الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٣-الخطاب والنَّصّ، "المفهوم ـ العلاقة ـ السلطة"، د. عبد الواسع الحميري، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٤-الخلاصة النَّحويَّة، د. تمام حسّان، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٥-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد، ت٤٧١هـ أو ت٤٧٤هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر/ محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني بمصر، دار المدني، جده، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٦-الدَّلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٧-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمدانيّ، ت ٧٦٩هـ)، ومعه: كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، مُحمّد محيي الدين عبد الحميد، ط١٤، المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٨-عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، عبد الحق بلعيد، تقديم: د. سعيد يقطين، ط١، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، بيروت ـ لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٩-العربيَّة من نحو "الجملة" إلى نحو "النَّصّ"، سعد مصلوح، الكتاب

التذكاري لقسم اللُّغة العربيَّة، جامعة الكويت، إعداد: د. وديعة طه النجم، و د. عبده بدوي، ١٩٨٩- ١٩٩٠م.

٢٠-علم لغة النَّصّ، المفاهيم والاتجاهات، أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٢١-علم لغة النَّصّ النَّظريَّة والتَّطبيق، د. عزة شلبي، تقديم: أ.د. سليمان الطعار، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة ـ مصر، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٢-علم اللُّغة النَّصِّيّ بين النَّظريَّة والتَّطبيق، دراسة تطبيقيَّة على السّور المكيَّة، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٣-علم اللُّغة النَّصِّيّ ـ النَّظريَّة والتَّطبيق، أ. د. مصطفى صلاح قطب، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٤هـ.

٢٤-علم النَّصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، ط٢، دار القاهرة ـ مصر، ٢٠٠٥م.

٢٥-في البلاغة العربيَّة والأسلوبيّات اللِّسانيَّة، آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٤م.

٢٦-في بناء النَّصّ ودلالته (محاور الإحالة الكلاميَّة)، مريم فرنسيس، دراسات لغوية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ـ سورية، ١٩٩٨م.

٢٧-القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللِّسان، أوزوالد ديكرو، و جان ماري سشايفر، ترجمة: د. منذر عياشي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٢٨-القراءة، فانسون جوف، ترجمة: د. محمد آيت لعميم، شكير نصر الدين، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦م.

٢٩-لسانيّات الخطاب ـ مباحث في التأسيس والإجراء، أ. د. نعمان بوقرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢م.

٣٠-لسانيّات النَّصّ، عرض تأسيسي، كيرستن آدمتسيك، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، مصر ـ القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣١-لسانيّات النَّصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٦م.

٣٢-اللِّسانيّات الوظيفيَّة، مدخل نظري، د. أحمد المتوكّل، ط٢، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، طرابلس الجماهيرية العظمى، ٢٠١٠م.

٣٣-اللُّغة، ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخليّ، مُحمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريَّة، مطبعة لجنة البيان العربيّ، (د. ت).

٣٤-اللُّغة بين الثّابت والمتغيّر، دراسة نصيَّة، أ. د. أحمد عفيفي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣٥-اللُّغة والمعنى والسِّياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة، د. يوئيل عزيز، ط١، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٧م.

٣٦-مدخل إلى علم النَّصّ ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي، ط١، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، بيروت ـ لبنان، منشورات الاختلاف،

الجزائر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣٧-مدخل إلى علم النَّصّ، مشكلات بناء النَّصّ، زتسيسلاف واورزنياك، أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣٨-المصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب ـ دراسة معجميَّة، د. نعمان بوقرة، ط١، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان ـ الاردن، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م.

٣٩-المصطلحات المفاتيح في اللِّسانيَّات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، ط١، سيدي بلعباس الجزائر، ٢٠٠٧م.

٤٠-معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ـ دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري ـ حمادي صمّود، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م.

٤١-مقالات في اللُّغة والأدب، د. تمام حسّان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٢-من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقديّ ـ مناهج ونظريات، أ.د. جمعان بن عبد الكريم، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

٤٣-من النَّصّ إلى الفعل، أبحاث في التَّأويل، بول ريكور، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانيَّة والاجتماعية، بالتعاون مع المركز الفرنسي للثقافة، القاهر، ٢٠٠١م.

٤٤-موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام الجزء الأوَّل الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله،

باقر شريف القَرَشي، تح: مهدي باقر القرشي، ط١، دار المعروف للطباعة والنشر، مؤسسة كتاب عام الولاية، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٤٥-موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي "١٣٢٠هـ- ١٣٩٠هـ"، تح: مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، بإشراف آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي، ط٥، قم - إيران، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٤٦-نحو النَّصّ، اتّجاه جديد في الدَّرس النَّحويّ، د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤٧-نحو النَّصّ - نقد نظرية... وبناء أخرى، د. عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٤٨-النَّحو والدَّلالة، مدخل لدراسة المعنى النَّحويّ الدَّلاليّ، د. مُحمّد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٩-نسيج النَّصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً، الأزهر الزّنَّاد، ط١، المركز الثقافيّ العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٥٠-النَّصّ والخطاب والاتصال، أ. د. محمد العبد، ط١، الأكاديميَّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥١-النَّصّ والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: أ. د. تمّام حسّان، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٥٢-النَّصّ والسِّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدَّلاليّ والتَّداوليّ، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٠م.

٥٣-نظريَّة التَّأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، ط٢، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٦م.

٥٤-نظريَّة النَّصّ، من بنية المعنى إلى سيميائيَّة الدال، د. حسين خمري، ط١، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، بيروت ـ لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٥٥-النَّظريَّة والنَّصّ، كتاب جماعيّ، قدّم له: آ. كيبيدي فارغا، ترجمة: د. منذر عياشي، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد ـ الأردن، ٢٠١٣م.

٥٦-الوظائف التَّداوليَّة في اللُّغة العربيَّة، د. أحمد المتوكّل، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م.

فهرس المحتويات

المقدِّمة ٣

نصّ وصيَّة أبي طالب رضي الله عنه ٥

الفقرة الأولى إنسكلوبيديا النَّصّ ـ النَّصّ دائرة معارف ٧

نحو النَّصّ ـ المفهوم والإجراء: ٧

الفقرة الثانية الكشف والتَّنقيب ١٩

ـ نحو فاعليَّة القواعد النَّصِّيَّة ـ العتبة والدُّخول: ١٩

أولاً ـ ما يقولُهُ النَّصّ ـ الوصيَّة؟: ٢٠

المباني الكبرى في الوصيَّة الكريمة: ٢١

ثانياً ـ كيف يقول النَّصّ ـ الوصيَّة: ٢٣

ـ كيفيَّات النَّصّ وخصائصه الإبداعيَّة: ٢٣

نواة النَّصّ، المحتوى التّحاوري ـ أنساق "التَّكوثر" الحمليّ: ٢٦

ـ الاقتران ـ الاتّساق المعجميّ: ٢٩

نظم الإحالة والتَّشكيل اللَّفظيّ الدَّلاليّ ـ فاعليَّة الاتساق: ٣٥
ـ نحو الإحالة وتقنيات التَّرابط والمطابقة بين أنظمة الدّوال النَّصِّيَّة: .. ٣٥
١ـ الإحالة بالضَّمائر: ٣٦
٢ـ الإحالة باسم الإشارة، ٤٤
٣ـ الإحالة بالاسم الموصول، ٤٥
٤ـ الإحالة بالمفاضلة، وما يستلزمه التَّقابل: ٤٧
جدليَّة الاتّساع والتَّعيين ـ ثنائيَّة التَّعريف والتَّنكير: ٤٧
الرُّتبة ـ حركة الدَّوال النَّصِّيَّة: ٥١
ـ الحذف والاستبدال في السِّياق النَّصِّيّ: ٥٣
وسائل الربط والتَّرابط الأخرى: ٥٧
التَّرابط المفهوميّ ـ العلاقات الدَّلاليَّة في النَّصّ: ٥٩
علاقة الأسباب ـ العلل والنّتائج: ٦٠
علاقة الاقتضاء الموجب: ٦١
علاقة التَّفصيل والإجمال: ٦٢
قُرَّ عيناً ـ كلمة لأبي طالب شيخ البطحاء رضي الله عنه: ٦٢
الخاتمة ٦٥
ثبت المصادر والمراجع ٦٧
فهرس المحتويات ٧٥

ALmajmaa1435@gmail.com

مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي